لماذا يعجز العالم عن وقف حرب غزة؟

د. أحمد فؤاد أنور: صبر مصر بدأ فى النفاد 07

شبح نقص الأدوية يقض مضاجع المصريين 03

فوضى تنتظر غزة إذا خرجت «حماس» من المعادلة!!

عندما سرق لصوص فى وسط غزة بطارية سيارة محمد أبو كرش فى شهر مارس الماضى ، طاردهم فى طريق مظلم وقتل برصاصة فى رأسه.

اتصل الأقارب بالشرطة، التى فتشت مسرح الجريمة فى ريف دير البلح، لكن هذا كان كل ما يمكنهم فعله.

قال ابن عمه محمود فؤاد : «قالوا إنه لم يعد لديهم سجن، وإذا عثروا على الجاني، فقد تهاجمهم عائلته أيضا» مضيفًا «نرى معارك بين العائلات بشكل يومى و الناس يعلمون أنهم لن يعاقبوا على أى شيء يفعلونه».

لا تزال الجريمة والعنف بين سكان غزة فى ارتفاع، بعد مرور ما يقرب من تسعة أشهر على الحرب بين إسرائيل وحماس، ويشمل ذلك السرقة والقتل امتدادا إلى التهريب وانتشار العصابات التى تحمى مقابل المال او تسرق المساعدات، ويؤدى هذا الاتجاه إلى إزهاق المزيد من أرواح الفلسطينيين، ويعرض للخطر عمليات المساعدات الدولية الهشة بالفعل، ويثير تحذيرات المسؤولين الأمريكيين والعرب الذين يشعرون بالقلق من أن غزة قد تعانى من فشل كامل فى الحكم لسنوات قادمة.

لقد كسرت سلطات الاحتلال قبضة حماس على النظام العام لكنها لم تملأ هذا الفراغ بنفسها ولم تسمح للسلطة الفلسطينية التى تتخذ من الضفة الغربية مقرا لها بالدخول لاستعادة الخدمات الأساسية، قائلة إنها تريد العمل مع الفلسطينيين غير المنتمين سياسيا لفتح او حماس او اى جهة اخرى.

وفى شمال غزة، الذى فر منه معظم السكان، فإن المنازل المهجورة التى لم تتعرض للقصف من قبل إسرائيل معرضة لنهب الأثاث والألواح الشمسية واسطوانات الغاز.

ويقول السكان الذين بقوا وحاولوا تأمين منازل جيرانهم إن اللصوص أصبحوا أكثر وقاحة، زاعمين أن المعاناة التى فرضتها الحرب تمنحهم الترخيص لسرقة كل ما يحتاجون إليه.

ويتكدس معظم سكان غزة الآن فى مخيمات وفى المراكز الحضرية التى تعرضت للقصف فى المناطق الجنوبية والوسطى، دون ما يكفى من الغذاء أو الماء أو الدواء وتندلع نزاعات عنيفة بشأن الإمدادات الأساسية يوميًا، كما أن قوة الشرطة التى تسيطر عليها حماس إما غائبة أو عاجزة، وفقًا للسكان.

ويقول رئيس المكتب الإعلامى الحكومى فى غزة، إسماعيل الثوابتة، إن الشرطة تعمل الآن وفق خطط الطوارئ وتفرض الأمن والأمان فى الأماكن التى يمكنها ذلك، بما فى ذلك محاولة منع النهب وملاحقة اللصوص وإعادة المسروقات إلى أصحابها.

وقال ثوابتة إن عدوان إسرائيل استهدف العشرات من مراكز الشرطة وقتل المئات من ضباط الشرطة منذ بداية الحرب، مما قوض قدرة القوة على العمل بكامل طاقتها وأضاف أن الحملة العسكرية الإسرائيلية "تهدف إلى زرع الفوضى وتعطيل السلامة والأمن فى قطاع غزة وإحداث فراغ إدارى وحكومي".

ورفض مكتب رئيس الوزراء الإسرائيلى التعليق على الفوضى فى غزة.

فى إحدى الحوادث الأخيرة، أدى نزاع بين مراهقين من عائلتين فى مخيم النصيرات بوسط غزة إلى توريط أقاربهم البالغين فيه فى نهاية المطاف وقال أحد الشهود إن رجلا قتل رجلاً آخر، وسحق رأسه بكتلة خرسانية.

وقال الشاهد إن عائلة الضحية انتقمت بإشعال النار فى المبنى السكنى للعائلة الأخرى وأضاف أن رجال الإطفاء تمكنوا من السيطرة على الحريق

وفرقت الشرطة الحشد المتجمع، لكن المشاجرات استمرت.

وقال الشاهد: "أنا أكره حماس ولم أدعمهم قط، لكنى أتمنى أن يعودوا للسيطرة على غزة بسبب الفوضى التى نعيشها" مضيفا «لقد أصبح الأمر مخيفًا جدًا».

كانت الشرطة قبل الحرب تقوم بدوريات فى الشوارع، التى كان سكان غزة يعتبرونها آمنة نسبيا، مع القليل من الجرائم الصغيرة والعقوبات القاسية التى توقع على المجرمين.

إن تواجد الشرطة فى أنحاء غزة هذه الأيام متقطع.

لقد تم قصف مراكز الشرطة والسجون المهجورة، لذا فإن حبس المجرمين ليس خيارًا وقد قتل العديد من ضباط الشرطة ونزح آخرون وهم مشغولون بمحاولة تأمين الغذاء والإمدادات الأساسية الأخرى لأسرهم.

رجال الشرطة الذين ما زالوا يعملون مرهقون ويعانون من نقص الموظفين، ويقولون لضحايا السرقة أنهم إذا حاولوا تعقب كل سلعة مسروقة فلن يكون لديهم الوقت لفعل أى شيء آخر.

ويعنى نقص الوقود والاتصالات المتقطعة فى غزة أنهم لا يستطيعون قيادة سيارات الشرطة ولا يوجد إرسال، لذلك يقومون بدوريات راجلة ولا يمكنهم طلب الدعم وهم عادة لا يرتدون الزى الرسمى أو يحملون أسلحة خوفا من استهدافهم من قبل جيش الاحتلال، كما أنهم معرضون لخطر الوقوع فى وسط دورات من العنف الانتقامى وأن يصبحوا هم أنفسهم أهدافًا ويغطى البعض وجوههم لإخفاء هويتهم لتجنب الهجمات الانتقامية.

وقال مسؤول أميركى مشارك فى عمليات الإغاثة: «لقد تدهورت القدرات العسكرية لحماس» وأضاف: «وكذلك، فهى لا تتمتع أيضًا بالقدرات اللازمة لفرض القانون والنظام، لذلك لا ينبغى لأحد على الإطلاق أن يتفاجأ بأن هذا هو الوضع داخل غزة فى الوقت الحالي».

ويقول الفلسطينيون إن مستوى انعدام الأمن، بين الجريمة والغارات الجوية الإسرائيلية، وصل إلى مستوى مرتفع جديد فى الأشهر الأخيرة.

وأفاد العديد منهم أنهم لم يعودوا يشعرون بالأمان فى الشارع فى وقت متأخر من الليل خوفًا من التعرض للاعتقال تحت تهديد السلاح أو السكين.

وقد مكّن انعدام القانون من نمو تهريب السجائر عبر شاحنات المساعدات التى تدخل غزة من إسرائيل، كما ساهمت فى نمو عمليات النهب التى تستهدف المستودعات التى يتم تخزين هذه البضائع فيها، وفقًا للسكان وعمال الإغاثة.

وتعرض هذه المؤسسات الإجرامية حياة سائقى شاحنات المساعدات للخطر وتعرقل تسليم السلع الأساسية، مما دفع المجموعات الإنسانية إلى وقف بعض العمليات مؤقتًا وإعادة النظر فيما إذا كان بإمكانها الاستمرار فى العمل فى غزة.

وأدت الحرب والحصار شبه الكامل إلى شل البنية التحتية الأساسية فى القطاع الصغير، مما أثار الجوع والمرض ودفع الفلسطينيين اليائسين إلى نهب شاحنات ومستودعات المساعدات.

وقال ويليام شومبورج، رئيس البعثة الفرعية للجنة الدولية للصليب الأحمر فى غزة، فى أواخر يونيو: «إن الانهيار العام للقانون والنظام... يشكل عائقا كبيرا أمام الجميع فى غزة» مضيفا «إننا نرى حالات عالية جدًا من النهب، والتى ترجع جزئيًا على الأقل إلى يأس المدنيين».

إن إحجام الدولة الصهيونية عن تحمل المسؤولية عن الإدارة المدنية ورفضها السماح لحماس أو السلطة الفلسطينية بأية مجال لإدارة الخدمات المدنية الأساسية كان سبباً فى خلق فراغ خطير فى السلطة

وقال مسؤول دولى أن الحل الأفضل هو وقف إطلاق النار ووضع خطة للحكم والأمن وإعادة الإعمار فى مرحلة ما بعد الحرب.

عندما يقع حادث ما، عادة ما يسأل المدنيون فى جميع أنحاء الحى لتعقب الشرطة. لكن نادراً ما يكون الضباط قادرين على فعل أكثر من استعادة هامش من النظام إلى مكان الحادث، مما يسمح باستمرار دورات الانتقام.

وفى ٢٥ يونيو ، بدأ أطفال عائلتين يحتمون فى خيام بالقرب من الشاطئ فى دير البلح فى التشاجر حول من سيكون أول من يجلب المياه من صنبور مشترك وقال شهود إن الخلاف تصاعد وتبادل آباء الأطفال إطلاق النار لمدة ١٠ دقائق تقريبا.

وقال ابن عمه وجيرانه إن سهيل بدوان، وهو أب فى الأربعينيات من عمره، وقع فى مرمى النيران وتوفى وقد وصلت الشرطة وأبعدت المسلحين، ثم غادرت بعد نصف ساعة دون إلقاء القبض على أى شخص.

وول ستريت جورنال

ترجمة وتحرير- هيباتيا موسى

جريدة أسبوعية - تصدر عن مؤسسة المشهد للصحافة والنشر

رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير

مجدى شندى

الموقع الإلكترونى

www.elmashhad.online

العدد 335 -السنة الثالثة عشر-

الخميس 27 يونيو 2024 م -

21 ذو الحجة 1445 هـ

12 صفحة - الثمن : 5 جنيهات

المشهد

لا سقف للحرية

تحقيق

العشور والنذور.. من يدير أموال الرب؟ 02

حوار

نائب بمستقبل وطن: يجب الاعتراف بالأخطاء 09

ثقافة

هل مجنون ليلى حقيقة أم شخصية مختلفة 10

بايدن يواصل التحدى الذى سيخسره لامحالة ومناصرون للحزب الديمقراطى يبحثون عن بدائل

أظهرت مقابلات مع أكثر من ٥٠ ديمقراطيًا هذا الأسبوع أن العديد من المسؤولين والمشرعين والاستراتيجيين فى حزب الرئيس بايدن يرون أن ترشيحه غير مستدام بشكل متزايد وأن مخاوفهم الخاصة تتسرب إلى الرأى العام ببطء ولكن بثبات.

وتعتقد قطاعات متزايدة من الديمقراطيين الآن أن الرئيس، من خلال بقائه فى المنافسة الانتخابية، يعرض قدرتهم على الحفاظ على البيت الأبيض للخطر ويهدد المرشحين الآخرين فى أعلى وأسفل صناديق الاقتراع. وتمثل اللحظة الراهنة لحظة صدام غير عادية بين رئيس الولايات المتحدة الذى يصر على أنه لن يتخلى عن حملة إعادة انتخابه وأعضاء حزبه الذين بدأوا يقترحون أنه ينبغى عليه ذلك.

ويقول النائب سكوت بيترز، الديمقراطى عن ولاية كاليفورنيا، فى مقابلة: «أملك ثقة أقل فأقل فى قدرة هذه الحملة على الفوز بهذا السباق» مضيفًا «إذا علمنا أننا سنخسر، فسيكون من الغباء ألا ننظر إلى مسار آخر».

وحث النائبة أنجى كريج، الديمقراطية عن ولاية مينيسوتا، بايدن على التنحى عن منصبه كمرشح للحزب الديمقراطى وقالت فى بيان: «لا أعتقد أن الرئيس قادر على القيام بحملة انتخابية فعالة والفوز ضد دونالد ترامب».

ويقول المشرعون إن المخاوف بشأن ترشيح بايدن من جانب المانحين والناخبين قد غمرتهم.

وقال كثيرون من أعضاء اللجنة الوطنية الديمقراطية، وهى الذراع السياسى للبيت الأبيض، إنهم ما زالوا داعمين، ولكن حتى هناك، بدأت الانقسامات فى الظهور تدريجيا.

واستخدم عضو ديمقراطى فى الكونجرس، ومسؤول سابق رفيع المستوى فى إدارة أوباما ومساعد كبير لحاكم ديمقراطى بارز، نفس الجملة فى مقابلات منفصلة لوصف موقف بايدن فى الحملة: «لا يمكن الدفاع عنه».

وقال مارك لاتشي، النائب الأول السابق لرئيس الحزب الديمقراطى فى ميشيغان، الذى شجع بايدن على الانسحاب من السباق، وهو السبيل الوحيد لتحقيق ذلك: «سيكون من الجيد بالنسبة له أن يدرك أنه لا يوجد أحد لا يمكن استبداله» مضيفا «سيكون الكثير من الناس متحمسين للغاية لترشح شخص آخر على التذكرة الديمقراطية لمنصب الرئيس. وأعتقد أن هناك فجوة فى الحماس فى الوقت الحاضر، وأعتقد أن هذه الفجوة تزداد سوءًا».

ومن المؤكد أن العديد من الديمقراطيين البارزين أعربوا علنا عن دعمهم للرئيس، أو التزموا الصمت بشأن أى شكوك، وقال أحد كبار المسؤولين فى البيت الأبيض والذى عمل مع بايدن خلال فترة رئاسته ونائبه وحملته لعام ٢٠٢٠، فى مقابلة إن بايدن لا ينبغى أن يسعى لإعادة انتخابه.

وقال المسؤول بعد مشاهدة بايدن على انفراد وفى العلن وأثناء السفر معه، إنه لم يعد يعتقد أن الرئيس لديه ما يلزم للقيام بحملة انتخابية قوية وهزيمة دونالد جيه ترامب.

وقال المسؤول، الذى أصر على عدم الكشف عن هويته من أجل مواصلة عمله، إن بايدن أظهر بشكل مطرد المزيد من علامات تقدم عمره فى الأشهر الأخيرة، بما فى ذلك التحدث ببطء أكبر وتردد وهدوء، فضلا عن الظهور بمظهر أكثر إرهاقا على انفراد.

وأشار أندرو بيتس، المتحدث باسم البيت الأبيض، إلى تعليقات بايدن خلال مقابلة مع شبكة ABC News، والتى تعهد فيها بالبقاء فى السباق. وفى تلك المقابلة، دافع بايدن أيضا عن حدته وقدرته على الخدمة.

وكان المسؤولون الديمقراطيون قد حصروا

مخاوفهم بشأن عمر بايدن وقدراته فى الكواليس إلى حد كبير، على الرغم من أن العديد من الناخبين أعربوا بصوت عال عن تحفظاتهم بشأن ترشيح شخص يبلغ من العمر ٨٦ عامًا بنهاية فترة الولاية الثانية، لكن فى الأيام التى تلت المناظرة الرئاسية الأولى فى يونيو، وما وصفه بعض الديمقراطيين بالمحاولة الضعيفة للحملة للسيطرة على الأضرار، تحولت المخاوف الهامسة إلى زوبعة من العمل، على الرغم من أن السؤال الذى سيظل مفتوحًا هو أين ستؤدى كل هذه الأمور.

ويؤكد العديد من الديمقراطيين الذين يعتقدون أن بايدن يجب أن يخرج من السباق على عاطفتهم الشخصية واحترامهم له، ويصفون شعورهم بالحزن الحقيقي.

ومع ذلك، يقوم المانحون بتمويل استطلاعات الرأى الخاصة لتقييم مدى نجاح بدائل بايدن ويناقش مشرعون آخرون ما إذا كان سيتم الانفصال علنًا عن الرئيس ومتى، حيث توقع أحد الاستراتيجيين الديمقراطيين المقرب من الأعضاء المعتدلين فى الكونجرس أن "السد على وشك الانهيار" عندما يعود المشرعون إلى واشنطن الأسبوع المقبل.

ويعرب أحد المؤيدين الجدد على الأقل عن مخاوفه الصريحة.

فبعد ان قام جيف دنكان، الجمهورى الذى شغل منصب نائب حاكم جورجيا سابقًا، بحملة لصالح بايدن فى اليوم السابق للمناظرة، كجزء من معارضته لترامب قال إن "النقاش كان بمثابة مفاجأة كبيرة بالنسبة لى بشأن الصحة الجسدية والعقلية للرئيس بايدن" مضيفا "سوف يستغرق الأمر قدرًا كبيرًا من الأدلة المضادة لتوضيح ما رأيته وسمعته خلال تلك المناقشة ويبدو هذا سيناريو غير محتمل فى هذه المرحلة".

وقال أحد المنظمين، الذى أصر على عدم الكشف عن هويته لمناقشة الحملة الناشئة، إن ه++ناك أيضًا جهدًا جديدًا جاريًا لتنظيم المندوبين قبل المؤتمر فى أغسطس لإظهار أن الديمقراطيين العاديين يريدون مرشحًا مختلفًا.

الجهد الجديد يمر من خلال مجموعة جديدة تدعى، Pass the Torch، او مرر الشعلة والتى تروج أيضًا لعريضة للديمقراطيين على نطاق أوسع، تحث بايدن على التنحي.

وحمل رجل يقف بالقرب من الرئيس قبل أن يتحدث فى تجمع حاشد فى ويسكونسن يوم الجمعة، لافتة تحمل شعار "مرر الشعلة يا جو"، وقال السيد بايدن إنه لا ينوى القيام بذلك.

واستخدم الرئيس لهجة متحدية خلال خطابه فى ولاية ويسكونسن، قائلاً إنه لا يمكن لأحد أن "يدفعه" إلى الانسحاب وأعلن قائلاً: "دعونى أقول ذلك بأوضح ما أستطيع: سأبقى فى السباق".

وتتمتع عائلة بايدن بنفوذ كبير فى اتخاذ قراره، وقد حثته بعد المناظرة على البقاء فى السباق.

ويعود قرار التنحى فى الواقع إليه وحده: فإذا تنحى، فمن المؤكد أنه سيضطر إلى إطلاق سراح مندوبيه فى المؤتمر الوطني، وتحريرهم لدعم مرشح آخر.

واقترح بعض مستشارى بايدن أن التركيز على عمر الرئيس وأدائه فى المناظرة لا يهم إلا الجهات المانحة ووسائل الإعلام والنقاد وقالوا إن جمع الأموال من الدعم الشعبى للحملة ظل قويا، وأشاروا إلى أن العديد من المسؤولين الديمقراطيين المنتخبين أكدوا علنا دعمهم للسيد بايدن واستمروا فى الحملة لصالحه.

لكن استطلاعات الرأى تظهر أن أغلبية كبيرة من الناخبين تعتقد أن بايدن أكبر من أن يخدم فترة ولاية أخرى كرئيس، بما فى ذلك استطلاع أجرته صحيفة نيويورك تايمز وكلية سيينا بعد المناظرة.

قال العديد من أعضاء الحزب، ونشطاء الحزب الرئيسيين فى مقابلات، إن بايدن يحظى بدعمهم الكامل وتظل الانتخابات من وجهة نظرهم خيارًا بين بايدن وترامب، وليس لديهم مصلحة فى إعادة تقييم خياراتهم.

وقالت فيرجى إم رولينز، رئيسة التجمع السود فى الحزب الديمقراطى الوطني: "أنا سعيدة بوجود بايدن على رأس القائمة، سأنتخب الرئيس بايدن وان كان يجلس على كرسى متحرك قبل أن انتخب المجرم المدان".

وقال جوناثان سايدل، عضو اللجنة من فيلادلفيا، إنه يعتقد أن مقابلة بايدن مع قناة ABC News كانت أفضل من المناظرة، ولكن حتى لو سارت الأمور بشكل سيئ، كما قال، فإنه كان سيظل ملتزمًا تجاه بايدن، بحجة أن الانتخابات كانت تهدف إلى إقناع الناخبين بمخاطر ترامب أكثر من مزايا الرئيس الحالي.

وقال سايدل: "ما أقوله للناس هو أنه ليس لديهم يسوع وموسى على التذكرة ولا أحد كامل".

وأعرب ديمقراطيون آخرون عن قلقهم بشأن الغوص فى عملية فوضوية لا يمكن التنبؤ بها للعثور على مرشح جديد قبل أقل من أربعة أشهر من يوم الانتخابات.

ولا يوجد إجماع ايضا، فى هذه السيناريوهات الافتراضية، حول ما إذا كان ينبغى للحزب أن يتحد على الفور خلف نائبة الرئيس كامالا هاريس أو أن يتابع عملية ترشيح مفتوحة إذا تنحى بايدن جانبًا، وهى التوترات التى قد تطفو على السطح فى الأسابيع المقبلة.

وأشار الأعضاء إلى اقتراح عممه جيمس زغبي، عضو اللجنة منذ فترة طويلة، لإنشاء عملية ترشيح أكثر انفتاحًا فى هذا السيناريو، وكان ذلك دليلاً على أنه حتى داخل أجهزة الحزب الأكثر دعما، يفكر البعض بشكل علنى فى حالات طوارئ أخرى.

وقال جيرى دى شيبرد، عضو اللجنة من كولورادو: "إذا انتهى الأمر بتنحى الرئيس بايدن، آمل وأفترض أن أى عملية لاستبدال الجزء العلوى من التذكرة ستكون شفافة بالكامل مع تمكين قاعدتنا الشعبية".

وآثار ديفيد والترز، الحاكم السابق لأوكلاهوما والعضو فى الحزب الديمقراطى الوطنى مخاوف منذ المناقشة، نقلا عن استطلاعات رأى السيد بايدن.

وكتب فى رسالة بالبريد الإلكترونى إلى صحيفة نيويورك تايمز فى الرابع من يوليو: "هناك قضية واحدة فقط ذات صلة، من هو المرشح الأفضل لإيقاف دونالد ترامب؟"

وأشاد بسجل إنجازات بايدن التشريعية وفطنته فى السياسة الخارجية، وقال إنه إذا تنحى الرئيس، "فسينال أوسمة العالم على تضحياته الشخصية من أجل مصلحة أمته".

وقال والترز: "فى السياسة والحملات الانتخابية، يكون التصور أعظم من الواقع، ربما يعمل بكامل طاقته بنسبة ١٠٠ بالمائة، لكن بعد مرور ١٤ شهرًا على هذه الحملة التى استمرت ١٨ شهرًا، تخسر الحملة هذه الحجة".

نيويورك تايمز

قالت العرب

لا تلبَس الدنيا، فإنّ لباسَها سَقَمٌ،
وعَرِّ الجسمَ من أثوابِها
أنا خائفٌ من شرّها، متوقّعٌ إكآبَها، لا الشُّربَ من أكوابها
فلتفعلِ النفسُ الجميلَ، لأنّه خيرٌ وأحسنُ، لا لأجلِ ثوابِها
(أبو العلاء المعري)

المشهد
العدد 335 -السنة الثالثة عشر- الخميس 27 يونيو 2024 م - 21 ذو الحجة 1445 هـ

العشور والنذور.. من يدير أموال الرب؟

هل تستطيع الدولة منع التبرعات للكنائس كما حدث فى المساجد؟ وإذا حدث ذلك فماذا ستفعل الكنيسة؟

سليمان شفيق: أعتقد أن المصريين لديهم روحانية خاصة ولا أحد يتخذ أى قرار بمنع التبرعات لدور العبادة

نجلاء باخوم: الكنيسة يجب أن يكون لها حساب بنكى وهذا من صور الشفافية والنظام

كمال زاخر: لا بد من وجود نوع من المركزية حيث يتم جمع الإيرادات وتوزيعها حسب احتياجات الكنائس

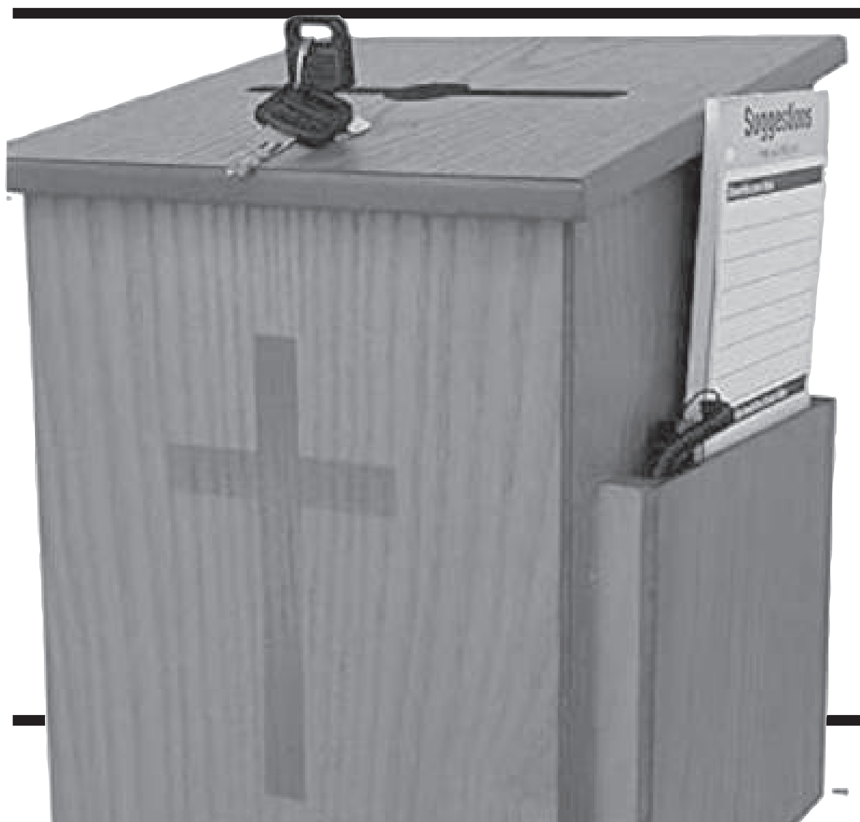

أى شيء يتعلق بالشؤون المالية هو موضوع حساس، وينطبق هذا أيضًا على الشؤون المالية للكنيسة.

فى السابق، فى بعض الكنائس، كان كل قرار مالى يخضع تقريبًا للتصويت الجماعي، وفى حالات أخرى، كان القس وحده يعلم، وهناك فرق بين طريقتين لإدارة أموال الكنيسة، الأول يخضع لإشراف اللجنة الكنسية التى تدير الكنيسة، ويتكون من ٧ أو ٩ أو ١١ شخصاً، ومنهم كاهن الكنيسة، ورئيس لجنة الكنيسة، وأمين صندوق الكنيسة، الذى يعمل على جمع التبرعات والأموال والاشتراكات، ومن ثم تدفع الكنيسة رواتبها وتلبى احتياجاتها المختلفة، وتودع الباقى فى البنك ولا تتم أى من إجراءات الصرف إلا بموافقة أغلبية أعضاء اللجنة. وهذا يدعى أنه من المستحيل التلاعب بها لوجود آلية يتم من خلالها التصرف فى هذه الأموال.

ومن الجدير بالذكر أن البعض تحدث عن إدخال نظام مالى جديد يسمح لكل كنيسة بالإنفاق على نفسها من خلال العطاء والعشور والتبرعات، فى ظل توقف الأوقاف عن جمع التبرعات المالية لجميع المساجد على مستوى الجمهورية.

• هل تستطيع الدولة منع التبرعات؟ بالنسبة للكنائس كما حدث فى المساجد.. وإذا حدث ذلك ماذا ستفعل الكنيسة؟

يقول المفكر كمال زاخر، منسق الحركة العلمانية فى مصر: هناك فرق بين الإدارة المالية فى الكنيسة ونظام الإدارة المالية فى المسجد، خاصة بالنسبة للمساجد التابعة لوزارة الأوقاف، لأن وزارة الأوقاف تعمل مركزيا، وجميع التبرعات التى تصل إلى المساجد يتم توريدها إلى وزارة الأوقاف مثل الحكومة عندما تعمل على الموازنة العامة، وتدخل كافة الإيرادات إلى الموازنة العامة، ومن ثم تظهر احتياجات الوزارات المختلفة. الوزارة مسؤولة عن تغطية احتياجات المساجد الفقيرة ، ولذلك يحق لها الإشراف على الإيرادات والنفقات، باعتبار أن العمل الوزارى هو عمل حكومي، لكن الكنائس تعتمد على التبرعات المباشرة من الناس إلى الكنيسة، سواء كانت صغيرة أو كبيرة، ولا يتم جمعها مركزياً ولا ترسل إلى الإيبارشية، ولكن أعتقد أن الأسقف هو من يحدد نسبة الإيبارشية ، وعلى كل كنيسة أن تقدم حصة للأسقفية، ويشكل الأسقف لجنة من معرفته بكل كنيسة، وتقوم هذه اللجنة بإدارة أموال الكنيسة المحلية حاليا، تعمل كل كنيسة من تلقاء نفسها، وأما الكنائس الصغيرة، فيتم تكليف بعض الكنائس فى عواصم المحافظات بطريقة ودية بالعناية بهذه الكنائس، ومن بينها كنيسة القديس مار مرقس بمصر الجديدة، والتى لها دور وتساعد الكنائس الفقيرة فى الأرياف، وهناك مجموعات من الخدام يقومون بزيارة الكنائس الفقيرة مرتين أو ثلاث مرات فى السنة، يتم خلالها تلبية احتياجات هذه الكنائس.

وأضاف زاخر: أتمنى أن يكون هناك نوع من المركزية حيث يتم جمع الإيرادات وتوزيعها حسب احتياجات الكنائس، لأنها ستعمل كنوع من التضامن بين الكنائس وبعضها البعض، كما أن هناك مراقبة مزدوجة للأموال داخل الكنائس، واحدة من الإيبارشية والأخرى من المجلس الملى المشكل داخل الإيبارشية، وتقدم اللجنة تقريراً محاسبياً إلى الأسقف، ومعظم الكنائس الكبرى لديها حسابات مصرفية موثقة ولديها مسؤول.

وأكد أن الكنائس تختار أفضل العناصر لإدارة أموالها، وأعتقد أن لا أحد يعتدى على أموال الكنيسة، لأنها بالنسبة للمصريين تحديدا تمثل شيئا سيئا، وإذا وجدت يتم التعامل معها ومعالجتها، و يوجد نظام مراجعة دقيق فى كل إيبارشية.

روحانية خاصة

من جانبه علق الصحفى سليمان شفيق: أعتقد أن المصريين لديهم روحانية خاصة، فلا يتخذون أى قرار بمنع التبرعات لدور العبادة، مثل المساجد والكنائس والأديرة، ولأن هذا الجزء يهتم بالروحانية والتصوف والتدين والمعتقدات الشعبية للمواطنين المصريين بكافة دياناتهم وطوائفهم، فلا يستطيع وزير الأوقاف ولا البطريرك ولا أى شخص أن يمنع ذلك، لأن هذه التبرعات تتم فى الخفاء، والمواطنون يشعرون أنك إذا أحسنت يكون فى الخفاء، و٩٠٪ من التبرعات لا يعلن عنها، فما يتم فى السر لا يمنع فى العلن ، ويجب أن يكون حساب التبرع رسميًا بالمعنى الرسمي.

وهذا يعنى أنه إذا تم الإعلان عن مسألة تبرعات هنا أو هناك، فإن هناك جهات يجب أن تقبل هذه التبرعات، أى أن البنك يقبل ويدفع المواطن ثمن الأضحية للأوقاف، لكن بشكل عام ، إعطاء المساجد أو الكنائس ، لا يحق لأحد منعه كما قلت ، لكن من الممكن تقنينه، والتقنين ليس منعا أيضًا ، يوجد فى كل كنيسة مجلس كنسى وهناك أسقف يجب أن يأخذ فى الاعتبار الموضوعية فى المحاسبة .

وأضاف شفيق: أعتقد أن المحاسبة تتم بطريقة أو بأخرى بنسبة ٨٠٪. هناك مشكلة لأنه عندما نتحدث عن الكنائس ، هناك فرق بين كنائس القاهرة الكبرى ، حيث يتمتع الكهنة بمساحة كبيرة من الأموال تنفق وتفيض ويفتحون بها مدارس، وبين كنائس القرى التى يوجد فيها قساوسة يعانون من مسألة الأموال وأحياناً مشاكل تتعلق ببناء الكنائس ، وهناك من يستغل أموال التبرعات لأن السرقة جزء من حياة الإنسانية، وتحدثت عن التقنين ، إذن فهو مراقبة الكنائس كما تفعل الأوقاف ، وهناك لجنة داخل كل كنيسة من مجلس الكنيسة تضم قساوسة وعلمانيين، ويضيف: إنه لأمر جيد أن تنفق الكنائس على نفسها من خلال التبرعات ، ولكن يجب مراعاة وضع صندوق علم مع قداسة البابا لدعم الكنائس الضعيفة والفقيرة.

الدولة لن تمنع

قالت النائبة نجلاء باخوم ، عضو مجلس النواب عن حزب الشعب الجمهوري: لن تمنع الدولة التبرعات للكنائس لأنها تعتبر من المواطنين للكنيسة، وأما أموال الوقف فلم تمنحها الدولة، هى تبرعات من المواطنين والأوقاف التى توزعها وتؤثث المساجد معهم لأنها مسؤولة عن ذلك ، وأن يمنع البابا الأموال التى تأتى من الكنيسة الممثلة فى أسقفية الخدمات عن الكنائس الصغيرة الموجودة فى المراكز والقرى ، أتوقع أن يكون هذا صعبًا ، خاصة فى ظل الظروف الاقتصادية التى نعيشها حاليًا، تقدم أسقفية الخدمات للأيبراشية ، وتوزع الأيبراشية على الكنائس لأنها تنفق على عدد كبير من إخوة الرب، وهناك استحالة لقدرة كل كنيسة على تغطية هذه الخدمات بقدراتها فقط بدون تبرعات ، قد تساعد ولكن ليس لجميع المحتاجين.

وأضافت باخوم: أطالب بأن يكون هناك ما هو رسمى فى صندوق الكنيسة أكثر من ذلك بطريقة محاسبية ، ومن الضرورى أيضًا أن يكون لدى أهل الكنيسة وعى ، ويجب أن نعمل ضمن أطر معينة، أحدها أنه يجب أن تكون هناك لجنة داخل الكنيسة تتلقى التبرعات وتصرف المساعدات بموجب إيصال رسمى ، وتقوم الكنيسة بتوعية المجتمع الكنسي، ويجب أن تكون هناك لجنة من الأسقفية تتابع هذه القصة بطريقة محاسبية ، وأتمنى أن يكون للكنيسة حساب مصرفى ، وهذا نوع من الشفافية والنظام، لأنه ، للأسف ، فى ضوء الظروف الاقتصادية التى نمر بها ، من الممكن أن يسرق بعض الأشخاص أموال الكنيسة.

تقرير - مادونا شوقي

بعد تصرفات القس دوماديوس.. ماذا تقدم الكنيسة والأزهر لتجديد الخطاب الديني؟

إبراهيم رضا: جزء من التأهيل يكون من خلال الدورات التدريبية والتعليمية والبحثية التى يلتحق بها الأئمة

عماد توماس: الكليات اللاهوتية تحث خريجيها على التواصل والتفاعل مع المجتمع وقبول الآخرين واحترامهم

د. أحمد كريمة: تجديد الخطاب الدينى يتطلب إدارة من المؤسسات الدينية القائمة عليه

كمال زاخر: الكنيسة القبطية الأرثوذكسية هى الأقل بين الطوائف الثلاث فى متابعة وإعداد وتأهيل رجال الدين

أثارت تصرفات القس دوماديوس حبيب جدلا واسعا فى الآونة الأخيرة، حيث كان موقف الكنيسة من ذلك القس حديث الساعة سواء عند المسيحيين أو المسلمين ، ولقى تعاطفا كبيرا من المسلمين عبر مواقع التواصل الاجتماعى بعد بيان الكنيسة الذى وصفه البعض بالبيان غير المكتمل، لأنه لم يقدم أسباب الإجراءات المتخذة ضد القس، بينما قوبل الكاهن أيضًا باستياء الأقباط من تصرفاته وأفعاله الذى وصفها البعض بأنه يريد الشهرة والربح من الفيديوهات التى ينشرها عبر صفحته على فيسبوك.

ومن هنا طالب البعض بضرورة تأهيل رجال الدين وتنفيذ ما يسعى إليه الأزهر والكنيسة على السواء، خاصة وأن الرئيس دعا المؤسسات الدينية إلى ضبط الخطاب الدينى لمنع انتشار الفتنة الطائفية، ومواكبة العصر وتأهيل رجال الدين.

من جانبه، علق المهندس عماد توماس، الأستاذ فى الكليات اللاهوتية الإنجيلية: "أثناء الدراسة فى الكليات اللاهوتية لمدة أربع سنوات، لا يدرس الطالب العلوم اللاهوتية فقط،

ولكنه يدرس أيضًا مواضيع تتعلق بتطوره النفسى والاجتماعى والعلمي، مثل علم النفس وعلم الاجتماع، والتكنولوجيا والإعلام، والتاريخ والقيادة والإدارة وغيرها، للتأكد من حصوله على المعرفة والمهارات اللازمة للقيام بواجباته، على أكمل وجه.

وأضاف أن التعليم لا ينبغى أن يقتصر على فترة الدراسة فى الكلية، بل التعلم والتطوير المستمر من خلال حضور الدورات التدريبية والمؤتمرات، ومراجعة البحوث والدراسات الجديدة، والسعى للحصول على درجتى الماجستير والدكتوراه فى الدراسات العليا، بالإضافة إلى الخبرة العملية التى يكتسبها رجل الدين المسيحى من خلال الخدمة الصيفية فى المجتمعات النائية.

مضيفاً أن الكليات اللاهوتية تحث خريجيها على التواصل والتفاعل مع المجتمع وقبول الآخرين واحترامهم والتعرف على احتياجات المجتمع ومشاكله، ومحاولة تقديم الحلول بطريقة موضوعية وفعالة، وحث المجتمع على التعامل بالعدل والإنصاف، والابتعاد عن التطرف والتعصب والتحيز.

أكاديمية الأوقاف

يقول الشيخ إبراهيم رضا، أحد علماء الأزهر الشريف، إن الدولة المصرية أدركت مؤخرًا، خاصة بعد ثورة ٣٠ يونيو، أهمية تدريب وتعليم علماء الأزهر، أو ما يسمى بالأئمة أو الدعاة، وبدأت الدولة باتخاذ إجراءات حازمة فى هذا السياق، أنشأت ما يسمى بأكاديمية الأوقاف بمدينة السادس من أكتوبر، وهى أكاديمية متخصصة فى تعليم الأئمة فن الوعظ، وتهتم بدراسة القضايا الجديدة واقتراحها وعرضها وإبداء الرأى المعاصر فيها بأسلوب مستمد. من كتاب الله والسنة الصحيحة.

وأضاف: جزء من التأهيل يكون من خلال الدورات التدريبية والتعليمية والبحثية التى يلتحق بها الأئمة، وفى نفس السياق هناك أكاديمية الأزهر لتدريب الدعاة، تحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر كما تهتم بتدريب الدعاة على المنهج العلمى من خلال عرض أو مناقشة بعض القضايا الحديثة والاستجابة لكل المستجدات التى تطرأ، حتى يكون الإمام أو الخطيب أكثر تخصصا فى الوضع الحالي.

وأكد أنه تمت إضافة عملية الدعوة لتشمل إشراك المرأة المصرية، وهذا جزء من اهتمام الدولة، بحيث يتم عمل المرأة فى مجال الدعوة، سواء كانت مكرسة فى الكنيسة والخدمات وكذلك الدعاة، وهنا ركزت وزارة الأوقاف من خلال ما قام به الدكتور محمد مختار جمعة وزير الأوقاف السابق على تمكين المرأة فى مجال الدعوة ، وهذا هو التمكين الأول الذى يحدث على الأراضى المصرية، واليوم، يوجد فى الأوقاف أكثر من ٣٠٠٠ داعية، وقد بدأن فى تلقى الدورات التدريبية والتأهيلية والبحثية. ويشاركن فى العمل العام ويهتمن بقضايا التوعية مثل القضية السكانية.

الدولة لاعلاقة لها بالكنائس

كمال زاخر منسق الحركة العلمانية فى مصر يقول: رجال الدين الإسلامى يخضعون لوزارة الأوقاف، باستثناء المساجد الخاصة غير التابعة للوزارة، والوزارة جزء من الحكومة، ومن حق الحكومة التدخل باعتبارهم موظفين فى منظومة الوظائف الحكومية. أما رجال الدين المسيحى فكل منهم ينتمى إلى طائفته. الدولة ليس لها علاقة بالكنيسة.

وأضاف زاخر: وزارة الأوقاف تعقد ندوات دورية لإعداد وتوجيه ومتابعة رجال الدين، لكن المشكلة أن الأمر يتم بطريقة بيروقراطية ويفقد غرضه. أما الكنيسة فكل طائفة تختلف عن الأخرى، ولعل الكنيسة الكاثوليكية هى الكنيسة التى تراقب رجال الدين عن كثب، خاصة أنها تقوم على إعداد وتأهيل الإنسان على مدى ١٤ عاما، بدءا من تقديم الطالب وتسجيله فى الإكليريكية حتى يتم اختياره ليكون رجل دين. ويهيئونه مدنياً ودينياً، ويدرس خلالها العلوم الإنسانية بشكل منتظم، ويوجد معهد بالمعادى لتدريب رجال الدين.

تليها الكنيسة البروتستانتية أو الإنجيلية التى تقدم إعدادها وخدمتها من خلال المنح الدراسية للطلاب ولها اتفاقيات ثقافية مع مجموعات أخرى.

للأسف، الكنيسة القبطية الأرثوذكسية هى الكنيسة الأقل قيامًا بين الطوائف الثلاث فى متابعة وإعداد وتأهيل رجال الدين، وتكتفى بعدم إعدادهم بشكل كامل. أعتقد أنها بحاجة إلى مراجعة مواقفها، وإنشاء نظام أكاديمى مستقر ومتفق عليه.

وختم حديثه: بما أن الأساقفة تخرجوا من الأديرة، فهل الأديرة مؤهلة لتخرج لنا رجل دين مؤهلاً ومستعداً لتولى هذا الأمر؟ وكان ذلك حاضراً فى أوائل الستينيات فى شكل مدرسة الرهبان، وعندما جاء البابا كيرلس السادس أغلق تلك المدرسة وحولها إلى مقر لأسقف حلوان، وبذلك انقطعت فكرة إعداد الأساقفة، وأتصور أن أغلب المشاكل الأخرى التى تعانى منها الكنيسة هى بسبب هذا الجزء.

و تأتى أهمية تجديد الخطاب الدينى وتأهيل رجال الدين لأنه من العناصر الأساسية فى مواجهة التطرف ، واهتمام الرئيس بهذا الموضوع لم يأت من فراغ ، بل فرض بالضرورة، فى ظل ما عانت منه مصر خلال السنوات الماضية ، مع تصاعد العمليات الإرهابية.

وقال الدكتور أحمد كريمة ، أستاذ الفقه المقارن والشريعة الإسلامية بجامعة الأزهر إن المعالجة الفكرية لم تتم بشكل كاف فى ملف «تصحيح الخطاب الدينى وتأهيل رجال الدين»، لافتا إلى أن موضوع تجديد الخطاب الدينى يتطلب إدارة من المؤسسات الدينية سواء الأزهر الشريف ودار الإفتاء ووزارة الأوقاف ، لأن الخطاب الدينى يهم كل المصريين ، وكذلك وزارات الثقافة والشباب والرياضة ، بالإضافة إلى منظمات المجتمع المدنى التى لها دور كبير فى هذا الملف.

تقرير - مادونا شوقى

المشهد
العدد 335 -السنة الثالثة عشر- الخميس 27 يونيو 2024 م - 21 ذو الحجة 1445 هـ

قالت العرب

ورنت فقلت غزالة مذعورة
قد راعها وسط الفلاة بلاءُ
وبدت فقلت البدرُ ليلةَ تمه
قد قلدته نجومها الجوزاءُ
بسمت فلاح ضياءُ لؤلؤ ثغرها
فيه لداء العاشقين شفاءُ
(عنترة بن شداد)

شهدت الفترة الأخيرة شكاوى متعددة من الكثير من المواطنين تفيد اختفاء أصناف عدة من الأدوية فى الصيدليات، وبعضها للحالات الحرجة وخاصة لمرضى الأورام والجلطات فضلاً عن ارتفاع أسعارها بشكل كبير جداً، الأمر الذى أثار غضب واستياء الكثيرين ممن يعانون من الأمراض المزمنة حتى طفح الكيل، واضطر العديد من المرضى إلى التخلى عن شراء جميع الأصناف المكتوبة فى الروشتة العلاجية التى يوصيهم بها الأطباء ويسعون لشراء إما الأدوية الأكثر أهمية أوالأقل سعراً، وهو مايلقى بضغوط كبيرة على الصيدلى فى إقناع المريض بأهمية الأدوية الموصوفة له أو صرف بعض البدائل التى قد تكون أقل فعالية، وبالرغم من تقبل الناس لظاهرة ارتفاع أسعار الأدوية إلا أنها لم تقف عند هذا الحد ولكن اختفاء أدوية كثيرة وهامة للمرضى معظمها أدوية الأورام وأدوية الأمراض المزمنة كل هذا يضع علامات استفهام كثيرة ويثير عدة تساؤلات، فمن المسؤول عن هذه الأزمة؟.

منين أجيب الدوا يا طبيب

نقص الأدوية واختفاؤها يقض مضاجع المرضى من المصريين

خبراء: الدولار والتسعيرة الجبرية .. أهم أسباب اختفاء أغلب الأدوية من السوق

المنظومة الصحية تعانى نقصاً حاداً بالمستلزمات الطبية ومشاكل نقص الدواء حلها توطين ودعم الصناعة المحلية

ظاهرة نقص الأدوية ليست وليدة اليوم ولكنها تفاقمت بشكل متسارع ومقلق للغاية خلال الأشهر القليلة الماضية، وتزايد الاختفاء الملحوظ لبعض الأدوية الهامة، وهو ما تسبب فى تكرار شكاوى المواطنين من عدم قدرتهم على الحصول على العلاج الذى يحتاجون إليه، حتى طالب عدد من أعضاء مجلس النواب بضرورة توطين صناعة الدواء فى مصر لتلبية الاحتياجات المحلية، ومن جانبها حاولت " المشهد" رصد أبعاد هذه الظاهرة والوقوف على أهم الأسباب التى أدت إلى تفاقم الأزمة، وصولا إلى المقترحات والحلول للخروج منها.

أشهر الأدوية الناقصة

صناعة الأدوية من القطاعات الهامة التى تأثرت أسعارها بشكل كبير بسبب التحرير المتتالى لأسعار الجنيه مقابل الدولار، واستيراد المواد الخام من الخارج بنسب كبيرة ومن خلال الاستفسار من بعض أصحاب الصيديات وبعض المرضى وجدنا نسبة كبيرة من الأدوية ناقصة وبشكل واضح فى السوق.

من الأدوية التى تشهد نقصا فى السوق المصرى، حقن الكورتيزون إيموتريكسات، حقن فليبوتون، سلوبريد، بالكونيل وهيدروكين للروماتيد وأدوية السكر مثل ميكستارد وحقنة اندوكسان لجلسات الكيماوى ودواء كونسيرتا لفرط الحركة، ومنها أيضاً أدوية خفض الحرارة والمضادات الحيوية والأدوية الخاصة بالأمراض المزمنة مثل الضغط والقلب والسكرى وأدوية الغدة والهرمونات بالإضافة إلى أدوية البرد بجانب قطرات الأنف والأذن والحنجرة وبعض أدوية الأطفال، ومجموعة الأوجمنتين ومجموعة زيثروماكس ومضاد حيوى شراب، تلك هى الأدوية الأكثر ندرة فى السوق إضافة إلى بعض الفيتامينات والمرطبات وغيره التى لا تخضع لهيئة الدواء ولا التسعيرة الجبرية وحصلت فيها ارتفاعات متتالية دون رقابة.

التسعير الجبرى

فى البداية يقول الدكتور محمود فؤاد، مدير المركز المصرى للحق فى الدواء، هناك الكثير من الأصناف الدوائية غير متوفرة بالأسواق، ومن بينها أدوية السكر مثل ميكستارد وأدوية للهرمونات والغدة وكذلك بعض أدوية الأورام والأمراض العصبية، كما أن الأزمة بدأت منذ عامين وذلك بسبب مشكلة سعر الدولار، وصناعة الدواء مرتبطة بالاستيراد من الخارج بنسبة ٩٠٪ من مكوناتها، إذن هى مرتبطة بأسعار الصرف (الدولار) بالإضافة إلى ذلك صناعة الدواء مرتبطة أيضاً بالتسعير الجبرى فى مصر منذ عام ١٩٨٨، فبالتالى نحن لسنا أمام صناعة استهلاكية مثل صناعة السلع الغذائية مثل السكر والدقيق حيث يتم استيراد البضاعة وبيعها بأسعار متفاوتة، ولكن صناعة الأدوية تمثل أمنا قوميا ولها تسعيرة ثابتة، فعلى سبيل المثال سعر شريط الدواء لو كان فى القاهرة سعره عشرة جنيهات تجده فى الاسكندرية بنفس السعر.

وبالتالى تواجه مصانع الدواء مشكلات بسبب تكبد الخسائر وذلك بسبب التسعيرة الجبرية، مما أدى إلى الامتناع عن شراء المواد الخام من الخارج، كما أن أسعار الأدوية المستوردة مرتفعة الثمن ثم الأدوية المنقذة للحياة مثل الأمراض المزمنة والأمراض المناعية وأمراض فرط الحركة وأنيميا البحر المتوسط وأمراض ضمور العضلات وأمراض الهرمونات، ونحن وصلنا إلى مرحلة صعبة جدا، خاصة أن الأدوية المحلية تغطى السوق بنسبة ٤٠٪ مثل الفوار والقطرة وعلاج خافض الحرارة وأدوية المعدة والقولون اختفت أيضا هى الأخرى نتيجة سوء إدارة الأزمة من قبل الحكومة خلال العامين الماضيين، وفى الأيام القليلة الماضية شاهدنا تكدس المواطنين أمام صيدلية الإسعاف ينتظرون صرف الدواء غير الموجود فى الصيدليات الأخرى وهذا أمر كارثى بالفعل.

يضيف فؤاد: أصل أزمة الدواء فى مصر موجودة بسبب كونه سلعة تخضع لما يعرف بالتسعيرة الجبرية التى تضعها الحكومة باعتباره سلعة استيراتيجية مهمة ولا يمكن التخلى عنها أو تركها للعرض والطلب، ومنذ شهر أكتوبر ٢٠٢٣ دخلت الحكومة فى مفاوضات مع أصحاب الشركات الذين طالبوا برفع أسعار ثلاثة آلاف صنف دواء ومصر مسجل فيها سبعة عشر ألف دواء، والحكومة المصرية قامت بعمل مفاوضات أكثر من مرة، ووعدت بتوفير الدولار، وكان ذلك بحضور نائب رئيس البنك المركزى وتم الاتفاق على الزيادة، ثم قالت الحكومة سوف نبدأ فى زيادة بعض الأصناف تدريجيا من مايو إلى ديسمبر وبها يمكن أن نستطيع تحريك بعض الأصناف على أن تقدم كل شركة ٢٥٪ من الأصناف، فبدأت الشركات بتقديم أسماء الأدوية الأكثر مبيعاً وليس الأكثر احتياجا مثل دواء الكانسر.

وللأسف الشديد الأزمة لم تحل بعد، وبعد المفاوضات الصعبة بين الشركات الأجنبية والحكومة، للأسف ضغطت الشركات الأجنبية لرفع الأسعار لأنها تتحمل خسائر كبيرة، وهذه الشركات تستحوذ على ٦١٪ من السوق المصرى من إجمالى مايتم تصنيعه، واستجابت الحكومة لتلك المطالب، كما كانت هناك مطالب فى مجلس النواب بعدم رفع أسعار أدوية الأمراض المزمنة والمنقذة للحياة.

وأوضح مدير المركز المصرى للحق فى الدواء أن الأزمة بدأت من عام ٢٠١٧ عقب تحرير سعر الصرف، كما أن المستشفيات لايوجد بها علاج والتأمين الصحى لا يوجد به أنسولين أيضاً ولذلك توجد مصيبة بمعنى الكلمة.

وأوضح أن هناك إحصائية للجهاز المركزى للتعبئة والاحصاء، تشير إلى أن ٢٥٪ من المصريين ينفقون ١٠٪ من إجمالى إنفاقهم الكلى على الصحة بالإضافة إلى أن ٦٣٪ من التعداد السكانى لديهم تأمين صحى، غير أن منظمة الصحة

مدير المركز المصرى للحق فى الدواء: نحتاج التوسع فى المراكز البحثية الطبية وتحفيز إنشاء الصناعات الدوائية

العالمية تقول دائما أن الانفاق ٣٠٪ ونحن نتحدث عن فئة أشد احتياجا للدواء.

ويضيف أن قرار ٤٩٩ لعام ٢٠١٤ نص على أن تأخذ الدولة المصرية المرجعية بخصوص الأسعار عند التطبيق من أهم دول فى العالم، وعندما ننظر لتلك الدول نجد أنها متقدمة صناعيا، ولذلك فهذه المقارنة ليست عادلة ونحن بذلك نكون قد وضعنا من يحتاج الدواء ما بين "السندان والمطرقة" فى العرض والطلب ولمافيا الشركات على حد قوله، فعليك أن تتحمل المسؤولية المجتمعية والأخلاقية بالنسبة لحقوق المواطنين.

وللخروج من هذه الأزمة يرى فؤاد ضرورة العمل على تسريع وتيرة التأمين الصحى وتحديد سعر الدولار الجمركى، فليس من المعقول بعد مضى ست سنوات أن يتم تطبيق التأمين الصحى الشامل على خمس أوست محافظات فقط، بالإضافة إلى دعم شركات قطاع الأعمال وتقويتها وذلك بإمدادها بالتكنولوجيا حتى يتحقق التوازن بين شركات قطاع الأعمال والشركات الخاصة.

وأوضح أن مصر قطعت خطوات جيدة فى صناعة الدواء وهناك شراكة قوية مع إيطاليا والصين فى هذا القطاع ولديها مشروع كبير جداً مع إسبانيا وهو الحملة القومية للبلازما، وهذه خطوات جيدة ولديها أيضاً "ايجيبت فارما" وهى مدينة الدواء ونحن نعول على أن تحدث انتفاضة ونقلة حقيقية فى صناعة الدواء فى مصر، لكن كل ذلك يحتاج إلى وقت طويل لتنفيذه، خمس سنوات على الأقل، موضحاً أن مصر ليس فيها أزمة صناعة دواء ولكنها تمر بأزمة اقتصادية طاحنة أثرت على كل الصناعات، والدواء صناعة حيوية فالتسعير الجبرى يؤثرعليه، ورفع أسعار الدواء لايحل أزمة نقص الأدوية فى السوق ، والمصريون بحاجة لحلول عاجلة لضمان عدم تكرار هذه الأزمة، لذلك فتوطين صناعة الدواء من المشاريع الهامة والتى تساعد فى تعميق التصنيع المحلى للأدوية بالتوسع فى إنشاء وتطوير المراكز البحثية الطبية وتحفيز إنشاء الصناعات الدوائية وتشجيع تصنيع وإنتاج المواد الخام.

استيراد المواد الخام

يقول الدكتور ثروت حجاج عضو مجلس نقابة الصيادلة، إن السوق المصرى يشهد عددا ليس بالقليل من نواقص الأدوية، والأزمة بدأت منذ فترة بنقص أصناف معينة من الدواء، وكل مريض لديه مشكلة فى شريط الدواء، كما أن الدواء يعتبر أهم شئ لدى المريض، ولذلك فهو ليس له ذنب بما يحدث فى أزمة الصرف، كما أن التعامل مع ملف الدواء يتم إدارته بطريقة غير علمية وعندما حدثت أزمة الدولار ارتبك سوق الدواء لأن هذا متعلق باستيراد المواد الخام، مضيفاً أنه فى العام الماضى فى شهر يونيو اجتمع رئيس الوزراء ووزير المالية ووكيل البنك المركزى مع هيئة الدواء والشركات المصنعة وبعد انتهاء الإجتماع تم الاتفاق على توفير الدولار الجمركى. موضحاً أن مصر تستورد المواد الخام بنسبة تصل إلى ٩٠٪، والأمر الآخر أن كل مستلزمات الإنتاج والتعبئة مثل الكرتون والطباعة والألمونيوم يتم استيرادها من الخارج أيضاً، وهذا شئ غير مطمئن على الإطلاق، لأن كل ماذكرته مرتبط بأسعار الصرف للأسف الشديد، ومن ضمن أسباب الأزمة أن معظم أصناف الدواء التى تنتجها بعض شركات الأدوية ناقصة فى السوق لأن معظم انتاجها يتم تصديره للخارج فى نفس الوقت حققت هذه الشركات أرباحا كبيرة هذا العام، فالشركات لا

شعبة الأدوية: ضرورة تطبيق الإسم العلمى فى بيع الأدوية بالصيدليات .. وانفراجة قريبة فى الأدوية غير المتوفرة

يعنيها سوى الأرباح فقط، كما أن إدارة الأزمة وفقه الأولويات تفتقده الدولة، وللأسف الحكومة تشجع التصدير للحصول على الدولار.

ويضيف أن السبب الرئيسى فى الأزمة يرجع إلى انخفاض استيراد المواد الخام، إلا أنه فى الفترة الأخيرة مع نقص وجود العملة الأجنبية اضطر بعض المستوردين إلى وجود نقص بكميات كبيرة فى العديد من الأدوية، وبالطبع لا توجد إمكانية لحصر تلك النواقص، ونقص العملة الصعبة وارتفاع سعر الصرف أدى فى نهاية المطاف إلى تقليل استيراد المواد الخام من الخارج لأن مستلزمات الإنتاج يتم استيرادها من الخارج.

ومن ضمن الحلول لهذا الملف شديد الأهمية شركات قطاع الأعمال التى لا بد أن يكون لها دور فعال فى حل هذه الأزمة وفى صناعة الدواء بشكل عام متسائلا أين دور الحكومة؟، ولا بد أن تتجه الدولة فى تصنيع المواد الخام ولا تترك الأمر هكذا حتى لو بنسب بسيطة، فهى تكون بمثابة مشروع قومى لمصر، ونحن نمتلك من الخبرة الكبيرة من الصيادلة بجانب أن المرتبات متوسطة وهذا الأمر يحتاج إلى قرار سيادى ثم اقتصادى بحت، والهند والصين تنتج ٨٠٪ من الكيماويات لاحتياجات العالم.

ومن أهم الحلول أيضاً للخروج من هذه الأزمة أن تعمل الدولة على توفير المواد الخام والتسعير العادل للدواء، ويأتى بعد ذلك التسهيلات التى يجب أن تقدم للمستثمرين بصفة عامة فى هذا الملف وذلك بشروط معلنة ومحددة، وأيضاً بعض المنتجات مثل المكملات الغذائية وأدوية السعال المصنوعة من الأعشاب والمرطبات و"الفيتامينات" ومضمضة الفم وزيوت الشعروغيرها يوجد منها أصناف كثيرة فلا بد أن تدخل تحت هيئة الدواء، وأن يكون عليها رقابة وأن يتم تسعيرها جبرياً مثل الدواء، لأنها أصبحت هى الاتجاه الأساسى للتصنيع بدلا من الدواء ولا يوجد عليها رقابة ولا تسعير.

وضع خطة استراتيجية

من جانبه يؤكد الدكتور أشرف حاتم رئيس لجنة الصحة بمجلس النواب، أن هناك ٤٠٪ من الأدوية بها نقص فى السوق المصرى، والسبب فى الأزمة أن المواد الخام يتم استيرادها من الخارج ، ولكن الإشكالية حاليا ليست فقط فى أسعار الدواء ولكن فى عدم توافره، ولأن قضية الدواء مهمة، فعلى الحكومة أن تتكاتف لتطوير صناعة الدواء فى مصر ودعم خطة تسعير الأدوية وهيئة الدواء المصرية ليست المسؤول الوحيد عن هذا الملف، مضيفاً أنه فى ظل ارتفاع الأسعار واستيراد الكثير من المستلزمات من الخارج ظهرت أزمة لأصحاب مصانع الأدوية فى استمرارية الإنتاج فى ظل التسعيرة الجبرية المحددة فى مصر.

وأوضح أشرف حاتم أن اللجنة ستعقد اجتماعا خلال الأيام المقبلة لمناقشة ملف صناعة الدواء فى مصر وتسعيره فى ضوء ارتفاع مستلزمات الإنتاج مع ضرورة إعداد خطة دائمة لحل الأزمة، وهذه الخطة مسؤولية مشتركة من وزارات المالية والصحة والصناعة والاستثمار بجانب هيئتى الشراء الموحد والدواء، مؤكداً على ضرورة وضع خطة استراتيجية من قبل مجلس الوزراء لدعم مصانع الأدوية المنتجة للمواد الأولية المستخدمة فى أدوية الأورام، خاصة وأن الصناعة يمكن توطينها فى مصر وتساهم فى المستقبل فى تصدير المنتج مما يوفر العملة الصعبة ويعزز قدرة مصر فى تصدير الدواء للسوق العربية والافريقية ويجب إعطاء امتيازات للمصنعين

لجنة الصحة بالبرلمان: تشجيع المرضى على استخدام البدائل المتاحة.. ورقابة على الصيدليات التى تحتكر الأدوية

لخفض نسب استيراد مستلزمات الإنتاج من الخارج.

توطين الصناعة

فى سياق متصل يوضح النائب مكرم رضوان عضو لجنة الصحة بمجلس النواب، أن هناك تحديات كبيرة تواجه صناعة الدواء فى مصر، فالمنظومة الصحية تشهد نقصاً فى الكثير من الأدوية والمستلزمات الطبية ومن الارتفاعات المستمرة فى أسعارها نتيجة الأزمة التى عانى منها الاقتصاد فى الفترة الأخيرة والتى ألقت بظلالها على واقع صناعة الدواء والمستلزمات الطبية، وعدم وجود رقابة على السوق تسبب فى زيادة أسعار الأدوية بنسب مبالغ فيها مما ينعكس بالسلب على المواطنين ويحملهم مزيدا من الأعباء المالية، كما أنه يتم استيراد معظم المواد الخام والمواد الفعالة اللازمة للأدوية من الخارج وبالتالى كان لها تأثيرها السلبى على إنتاج مصانع الدواء.

ويضيف النائب: شكاوى المواطنين ترد إلينا وتحمل تخوفات من زيادة نواقص الأدوية فى السوق المحلى خلال الفترة المقبلة، حيث أنها تقترب من ألف صنف حالياً من أدوية السكر مثل ميكستارد وأدوية الأورام وأن الكثير من المواطنين يبحثون عن الأدوية لفترات طويلة ولا يجدون الكثير منها ولذلك يجب التدخل لمنع تفاقم الأزمة.

ويوضح أن أزمة نقص الدواء فى الفترة الأخيرة ليست فقط فى ارتفاع أسعاره ولكن فى عدم توافره، ولذلك الوضع الحالى فى المنظومة الصحية يستدعى تقديم كافة أوجه الدعم، كما أن تزايد نواقص الأدوية يفرض تقديم تسهيلات لمنع إعاقة صناعة هامة جداً ، وقال إنه تقدم بطلب إحاطة إلى لجنة الصناعة بالمجلس لمناقشة واتخاذ القرارات اللازمة لما فى ذلك من أهمية على صحة المواطنين، ولأن القطاع الطبى يمثل أمنا قوميا للبلاد، لذلك نناشد الحكومة وهيئة الدواء وضع حلول سريعة بدعم القطاع فى هذه المرحلة وتوفير الأدوية الناقصة فى السوق والمراقبة على سعرها فى الصيدليات والمستشفيات لأن مخازن الأدوية تحتكرها، فالحل هو دعم صناعة الدواء وحل المشكلات التى تواجه الصناعة فى توفير الاحتياجات المحلية المطلوبة من الأدوية والمستلزمات التى يحتاجها المرضى وكافة المستشفيات والمراكز الطبية، ويناشد الحكومة الجديدة وضع ملف توافر الأدوية على رأس أولويتها من خلال توطين صناعة المواد الخام خلال الفترة المقبلة، خاصة فى ظل المزايا التنافسية للاستثمار فى مصر وأبرزها وجود سوق استهلاكى ضخم وتوافر قاعدة صناعية إنتاجية، وفى الوقت نفسه تشديد الرقابة على الأسواق لمنع التلاعب فى أسعار الأدوية.

انفراجة قريبة

من جهة أخرى يرى الدكتور على عوف رئيس الشعبة العامة للأدوية فى الاتحاد العام للغرف التجارية، أن أزمة اختفاء بعض الأدوية غير مقتصر على السوق المحلية ولكن هى أزمة عالمية، موضحاً أن مصر تعانى فى الأساس من خلل فى طريقة التعامل مع الدواء، تبدأ كما قال من الطبيب الذى يكتب فى وصفته الطبية الاسم التجارى للدواء رغم أنه فى أغلب دول العالم يتم كتابة الاسم العلمى له أو المادة الفعالة الموجودة فيه، ويقوم الصيدلى بصرف ماهو متوفر من بدائل تتبع هذا الاسم العلمى، قائلاً:" نحن فى حاجة ماسة لتغيير ثقافة المريض والطبيب، مضيفاً أنه لا يوجد نقص فى أدوية الأورام، لكن هذه الأدوية تباع بأسعار مرتفعة جدا نظرا لطبيعتها وأنها

صناعة النواب: توطين صناعة الدواء وتشديد الرقابة على الأسواق .. هو الحل

أدوية نادرة، وأن إحدى الحقن التى تعالج الأورام قد يصل ثمنها لأكثر من ٨٠ ألف جنيه مصرى وهومبلغ لا تستطيع أغلب الصيدليات المدرجة ضمن ٨٠ ألف صيدلية مسجلة على مستوى الجمهورية توفيره للمرضى.

كما أن بعض الأدوية تتعرض للغش التجارى أو تباع فى السوق السوداء بأسعار مبالغ فيها جداً، وأن أدوية الأورام تباع فقط فى الشركة المصرية لتجارة الأدوية كمنفذ وحيد وتصرف عبر وصفة طبية وتقرير طبى معتمد وصورة بطاقة الرقم القومى، غير أن الموضوع لدينا يأخذ شكلا أكبر بسبب أننا نتعامل مع ثقافة المواطنين ونحاول إيجاد الاسم التجارى للدواء الموصوف لهم حتى لو كانت هناك بدائل بنفس الكفاءة وأقل سعراً، والمشكلة تكمن فى الاسم التجاري، وعلى سبيل المثال حدث نقص فى عقار البنادول خلال فترة أزمة كورونا مع أن المادة الفعالة لهذا الدواء هى الباراسيتامول أو البارامول وأن هناك أكثر من ٥٠ شركة تنتج الأدوية التى تحتوى على هذه المادة الفعالة بأسماء تجارية مختلفة.

فمن أهم أسباب الأزمة الثقافة المجتمعية وليس النقص بذاته ولكن أؤكد أن الأسماء التجارية هى ناقصة بالفعل من السوق المصرى غير أن بدائل الأدوية والاسم العلمى متواجدة بالفعل فى معظم الصيدليات، وأيضاً سبب النقص الحاد فى الأدوية هو عدم قدرة الشركات المنتجة على تحمل فارق تدبير العملة لاستيراد المواد الخام بعد ارتفاع سعر الدولار أمام الجنيه، وهناك سبب أخر وهو ارتفاع تكلفة الانتاج منذ شهر مارس الماضى بعد تحرير سعر الصرف فى حين وافقت هيئة الدواء المصرية للشركات على تحريك أسعار بعض الأصناف خلال شهر يونيو الماضى، وأن الدواء سلعة استراتيجية وأمن قومى، والدولة تسعر الدواء سواء المحلى أو المستورد تسعيرا جبريا ويراعى فيه البعد الاجتماعى وأن هناك أدوية يتم استيرادها بسعر أقل من دول كثير على مستوى العالم ويحدث توفير للدواء بأقل من احتياج السوق لأن التكلفة أكثر.

وجدد رئيس شعبة الأدوية بالاتحاد العام للغرف التجارية دعوته المستهلكين إلى عدم تخزين الأدوية وشراء كميات ضخمة لعدم تفاقم الأزمة.

غير أن "على عوف" توقع انتهاء أزمة نقص الدواء خلال الفترة القريبة المقبلة، قائلا إن أزمة نقص الأدوية التى تعانى منها مصر منذ أشهر ستنتهى بشكل كامل خلال فترة تتراوح بين شهر ونصف وشهرين بحد أقصى بعد توافر السيولة لدى بعض شركات الأدوية التى بدأت بالإفراج عن المواد الخام فى الموانئ لإنتاج النواقص إلا أن توافرها فى السوق قد يأخذ بعض الوقت لحين الانتهاء من كل إجراءات مراجعة الدواء وتوزيعه بمختلف أنحاء الجمهورية، بالإضافة إلى أن بعض الشركات الكبرى بدأت بالفعل فى طرح منتجاتها فى السوق لتغطية احتياجات السوق من الدواء.

الخط الساخن

فى الوقت نفسه أتاحت هيئة الدواء المصرية خدمة عبر موقعها الرسمى، وعبر الخط الساخن لجميع المواطنين وتخصص هيئة الدواء الرقم الساخن ١٥٣٠١ للاجابة على أى استفسارات تتعلق بنقص الدواء وذلك للاطلاع المريض على مكان توافره وسعره ومدى توفر بدائل خاصة به.

تحقيق: حنان موسى

فى معركة ضرائب البورصة المصرية: المستثمرون 5 - الحكومة 0

فى مايو الماضى عاد مجلس الوزراء المصرى لتأجيل فرض الضرائب على أرباح البورصة المصرية، وذلك للمرة الخامسة على التوالي، على وعد بتطبيقها خلال العام المقبل.

ذلك الوعد الذى استمر طيلة سنوات، ومنذ الطرح الأول لقانون فرض ضرائب على الأرباح الرأسمالية الناتجة عن بيع وشراء الأسهم والسندات بالبورصة المصرية ومنذ ١٠ اعوام، ومع ذلك لم تطبق، ونجح المستثمرون فى الضغط على الحكومة بما يحمى مصالحهم المباشرة.

للمفارقة فإن قيمة الضرائب خصوصا المضافة التى تم إقرارها على الجمهور، خلال السنوات الأخيرة هى الأكبر من نوعها، حيث قدرت بـ ٢٥,١٪ زيادة عام ٢٠٢٤/٢٠٢٥.

وفى بلد تبلغ فيه قيمة الضريبة المضافة التى تشمل كافة فئات الشعب، ربما تشعر بالاندهاش أمام التردد الحكومى الضخم فى مواجهة قرار فرض ضرائب على الأرباح الرأسمالية للبورصة المصرية، التى تعمل بمثابة وسيلة تمويلية للمستثمرين، لايستفيد منها المواطن العادي، حتى ولو عبر ميزانية الدولة طوال تلك السنوات.

محمد سلطان

الهامى الميرغني

محمد رمضان

السيد خضير

أنواع ضرائب البورصة والخلاف عليها

على الرغم من أن اغلب دول العالم تقوم بتطبيقها باستثناء ٢٨ دولة فقط من ضمنها مصر، إلا ان هناك خلافا عليها، حتى من بعض الخبراء، ولكن قبل استعراض هذا الخلاف ربما علينا التفرقة بين نوعين من الضرائب فى البورصة المصرية.

الأولى ضرائب الدمغة: وهى أشبه برسوم عبور الطرق، فهى رسوم ضئيلة تحصل مع كل عملية بيع وشراء، بغض النظر عن حجم الأرباح أو الخسائر الخاصة بهذه العمليات، وتبلغ ١.٢٥ جنيه على كل ألف جنيه، لغير المصريين، و٠,٥ على كل ألف جنيه بيعا وشراء للمصريين.

طبقا للباحث الاقتصادى محمد رمضان فإن الاعتراض على تلك الضريبة من قبل المستثمرين – رغم وجوده – لكنه ليس كبيرا مثل اعتراضهم على النوع الثاني، «ضرائب الارباح الرأسمالية»، ولكنها فى الوقت نفسه تتسم بصغر الحجم وضعف الحصيلة.

لك أن تتخيل أن نسبة هذه الضريبة المتنازع عليها منذ ١١ سنة وهى ١.٢٥ فى الألف. لا تصل حتى إلى نصف العمولة التى تحصلها شركات الوساطة فى الأوراق المالية، التى تأخذ عن كل عملية بيع وشراء. ٢.٥ إلى ٣.٥ فى الألف جنيه.

يمكنك أن تجد شركات وساطة فى السوق المصرية وتتقاضى عمولة وساطة ٤ فى الألف وبجوارها شركات اخرى تتقاضى عمولة وساطة ٢ فى الألف، وكلا النوعين يعملان ولا يؤثر هذا الفرق فى العمولة على وجود اى منهما. أى أن الفرق بين عمولات شركات الوساطة، يتجاوز فى أحيان كثيرة النسبة الضريبية التى تحاول الدولة تحصلها وينازعها المستثمرون عليها منذ ١١ عاما.

أما النوع الثانى من ضرائب البورصة المصرية، وهو النوع الأهم ومحل التركيز، ومحل الهزائم المتكررة للحكومة المصرية هو «ضرائب الأرباح الرأسمالية على الأسهم والسندات» وفقا لرمضان، وأبسط تعريف له هو أن الفرق بين سعر شرائك للسهم سعر وبيعك له» إذا كان هذا الفرق موجبا أو ربحيا «سيخضع لضريبة.

وهى ضريبة تماثل أرباح الأنشطة الصناعية او التجارية، أو ضرائب الدخل. ورغم انخفاض نسبة الضرائب المقترحة على الأرباح الرأسمالية عن نصف النسب السائدة لباقى الأنشطة الأخري، الا أن هناك معركة ضارية بين مستثمرى البورصة المصرية والحكومة على إمكانية تطبيق هذه الضرائب.

وكان أول اقتراح / قانون لتطبيق ضرائب الأرباح الرأسمالية فى البورصة المصرية فى يوليو ٢٠١٤. ولكن سرعان ما تراجعت الحكومة عن تطبيق هذا القانون فى وأعلنت وقف العمل به فى ٢٠١٥ تحت ضغط من المستثمرين الذين اتخذوا مواقف ضاغطة متعددة مثل البيع المكثف للأسهم، أو التهديد بالتخارج من السوق. حينها اعلنت الحكومة أنها ستؤجل العمل به حتى يوليو ٢٠١٧ « لحين تحديد آليات واضحة لطريقة حساب وتحصيل الضريبة»

ثم بعد ذلك جاءات أربعة تأجيلات أو مد لإيقاف العمل بالقانون كان آخرها نفى الحكومة فى أبريل ٢٠٢٤ أى نية لها لتحصيل ضرائب الأرباح الرأسمالية من مستثمرى البورصة المصرية بعد انتشار شائعات عن نية الحكومة لتحصيلها خلال عام ٢٠٢٤.

وللمفارقة ترافق نفى الحكومة لهذه الشائعات وإعلانها التأجيل الخامس لتحصيل الضريبة حتى مايو ٢٠٢٥، مع تكرار السبب نفسه وهو «لحين تحديد آليات واضحة لطريقة حساب وتحصيل الضريبة». وهو نفس السبب التى ساقته الحكومات المصرية على مدار ١٠ سنوات.

ولكن هل ١٠سنوات لم تكن كافية لتحديد آليات واضحة لتحصيل الضريبة من أكثر سوق يتسم بتوافر المعلومات والشفافية فى خروج ودخول الأموال منه؟

ضرائب الأرباح فى البورصة.. حقائق

حول هذا يقول الباحث الاقتصادى محمد سلطان: «إن تحليل لماذا ينتصر مستثمرو البورصة وتنهزم الحكومة فى معركة الضرائب الرأسمالية على البورصة، لا يحتاج إلى كثير من التدقيق، فالصورة شديدة الوضوح، مستثمرون يستطيعون الانسحاب، ويهددون به، وحكومة تخشى من اضطرابات فى سوق الأسهم تضاف إلى باقى الاضطرابات الاقتصادية. وبالتالى تأتى نتيجة المعركة دائما لصالح المستثمرين».

ولكن هناك عدة نقاط، إذا تذكرتها الحكومة وأضافتها لخوفها من انسحاب المستثمرين، عند قرارها بتطبيق هذه الضريبة، سيتغير موقفها، وبالتالى نتيجة المعركة، فقط تحتاج الحكومة تذكر بعض من تلك الحقائق، بحسب سلطان.

– من هذه الحقائق أن كل الأسواق المالية تصاب بصدمة عند بداية تطبيق ضرائب الأرباح الرأسمالية، ولا يوجد سوق واحد استمرت فيه هذه الصدمة على المدى الطويل أى اكثر من ٣ سنوات، إذ أن هناك أكثر من ١٤٠ دولة تطبق أرباحا رأسمالية على الأسهم، ولم تنهار أى سوق منها بسبب الضرائب، فالتجارب الطويلة وكذلك السيل المتدفق من الدراسات التطبيقية المتخصصة يؤكد أن الصدمات التى تحدث فى أسعار الأسهم بسبب ضرائب الأرباح الرأسمالية، هى صدمات قصيرة الأجل، والذى يحدد أسعار الأسهم فى الأجل الطويل هى عوامل اقتصادية كلية وسياسية أكثر تأثيرا من ضرائب الأرباح الرأسمالية.

حقيقة أخرى أقر بها سلطان أن نسبة الضرائب المقترحة على الأرباح الرأسمالية للبورصة، والتى لا نستطيع تطبيقها، يجب أن تكون متغيرة وان القانون الحالى الذى يتم تاجيله يجب أن يتم التعديل عليه، بحيث أن الضريبة تكون أقل للاستثمارات التى يتم تداولها على المدى البعيد زمنيا، أو الأضخم من حيث الربح، مما يساهم فى زيادة كفاءة السوق، وإقصاء المضاربين فيها، وبالتالى التخلص من ضعف سوق المال التى نعانى منه منذ سنوات.

كما كانت تمثل تلك الضريبة نصف او اقل من نصف الضرائب السائدة على النشاط الصناعى والتجارى وضرائب الموظفين والشركات فى مصر من قبل، ولكن بعد التخفيض الذى حدث فى قانون ٣٠ لسنة ٢٠٢٣ تمثل هذه الضرائب أقل من ربع الضرائب السائدة، وهو ما يعتبر حوافز سلبية للنشاط الصناعى الذى يحتاجه الاقتصاد المصرى حاليا أكثر من أى وقت مضى.

تأجيل ضروري

على الجانب الآخر من النهر يرى الخبير فى البورصة السيد خضير أن تأجيل ضرائب الأرباح الرأسمالية ضروري، مؤيدا إجراءات الحكومة فى هذا الخصوص، إذ يرى أن البورصة المصرية بحاجة لمزيد من المحفزات التى من شانها رفع قيم التداول، وعدد الشركات فيها.

كما اعتبر أن مثل هذه الإجراءات من شانها تعطيل أى محاولات لتحفيز البورصة على العمل بالكفاءة اللازمة، فى حين أرجع تراجع الاستثمار بالبورصة إلى مناخ الاستثمار ككل، وظروف الحرب، والقلاقل السياسية على مدار السنوات الأخيرة.

يعتقد خضر أيضا أن مصر تحتاج إلى توسيع ثقافة الاستثمار فى البورصة بين الشخوص العاديين، والاحتذاء بنموذج دول الخليج الذى أصبح فيه الكثير من المواطنين العاديين مستثمرين بالبورصة، ولكن من شان هذه الضرائب إدخال الخوف إلى الأفراد، كذلك طرد الأموال الأجنبية التى تغريها حرية التداول.

كما نفى خضر جدوى فكرة الاعتماد على القروض، أو زيادة الفائدة على الاقتراض، واعتبرها سببا من أسباب الركود، حيث يعزف الأشخاص عن استخدام أوعية تمويلية جادة ومثمرة مثل البورصة، ويركنون إلى تجميد أى نشاط لهم، اعتمادا على فوائد البنوك، متوقعا فى الوقت نفسه انخفاض أسعار الفائدة، وهو ماسبقنا إليه الفيدرالى الأمريكى والأوربى مؤخرا.

نظام ضريبى مختل وعدالة غائبة

بدوره يقودنا الباحث إلهامى الميرغنى للحديث عما سماه بنظام ضريبى مختل وعدالة ضريبية مفقودة وترسانة تشريعات تحتاج للتطوير والتحديث.

وعبر الأرقام يستعرض الميرغنى الأمر بالقول : « فى موازنة ٢٠٢٤/٢٠٢٥ تبلغ الحصيلة الضريبية المتوقعة ٢٠٢١ مليار جنيه لا تمثل سوى ٣٦,٥٪ فقط من الموارد بعد أن كانت ٤٤٪ فى ٢٠١٠/٢٠١١. إضافة الى تراجع أهمية الضرائب الى الناتج المحلى الإجمالى من ١٨,٣٪ فى ٢٠١٢/٢٠١٣ إلى ١١,٨٪ فى ٢٠٢٤/٢٠٢٥.

ونتيجة فجوة الموارد تضطر مصر للاقتراض، فتقترض ما مقداره ٢٨٤٩ مليار جنيه قروض جديدة إضافة الى سداد ٣٤٤٠,٦ مليار جنيه أقساط وفوائد تمثل ٦٢,١٪ من إجمالى استخدامات الموازنة. لذلك ضعف الحصيلة الضريبية يتم تعويضه بالديون والمزيد من الديون.

وبحسب إلهامى ، برغم كل الحديث عن ضرورة الإصلاح الضريبى وإصلاح التشريعات الضريبية نجد إصرارا متواصلا على منع تطبيق ثلاث أنواع من الضرائب الأولى هى الضرائب العقارية والذى صدر بها القانون ١٩٦ لسنة ٢٠٠٨ المعطل والمعدل بالقانون رقم ٢٣ لسنة ٢٠٢٠ والذى لا يزال هناك تأجيل متتالى فى تطبيقه.

والثانى هو قانون الضرائب على تعاملات البورصة أو قانون الضرائب على الأرباح الرأسمالية والذى يقاتل رجال الأعمال وشركات البورصة المائة وعشرون ضد تنفيذه.

يكفى ان نعرف ان ١٢٠ شركة أوراق مالية إضافة الى البنوك تقاتل ضد بدء تطبيق القانون ومن بينها ٢٠ شركة تقود التداول فى البورصة يأتى على رأسها شركة "هيرميس" للوساطة فى الأوراق المالية، وهى الشركات الأكثر ارتفاعًا من حيث قيمة التداول بين شركات السمسرة فى البورصة المصرية، بالربع الأول من العام الجارى ٢٠٢٤، بقيمة تداول ٨١ مليارًا و٢٥٧ مليونًا و٩٥٥ ألف جنيه، بمعدل زيادة ١٤,٢٪..

ثم حلّت شركة وتطبيق «ثاندر» لتداول الأوراق المالية إلكترونيًا، المركز الثانى بين أعلى ٢٠ شركة وساطة من حيث قيمة التداول، بمعدل زيادة ٩,٨٪، لتكون قيمة التداول ٥٦ مليارًا و٣٩٧ مليونًا و٤٥٩ ألف جنيه، بينما احتلت شركة «التجارى الدولي» للسمسرة، المركز الثالث عند ٥١ مليارًا و٣٨٣ مليونًا و٤٠١ ألف جنيه. وفى المركز الرابع، جاءت شركة «أرقام» لتداول الأوراق المالية، بمعدل زيادة ٦,٨٪، لتسجل قيمة تداول ٣٩ مليارًا و١٥ مليونًا و٥٦٣ ألف جنيه، وفى المركز الخامس احتلت شركة «مباشر» للأوراق المالية، بمعدل زيادة ٦,٧٪ إلى ٣٨ مليارًا و٢٧٥ مليونًا و٥٣ ألف جنيه.

وهكذا تتحكم هذه الشركات فى حركة البورصة وهى صاحبة مصلحة فى وقف تنفيذ قانون فرض ضريبة على تداولات البورصة.

وأضاف إلهامى أن هناك قانون ثالث محاصر وممنوع من المناقشة، ألا وهو قانون فرض ضرائب على الثروات التى تزيد على ١٠٠ مليون جنيه، بل ورفض حتى رفع حد الثروة إلى ٥٠٠ مليون جنيه. بينما توجد مئات الشركات المصرية العاملة فى مصر وغير المسجلة فى مصر والمسجلة فى الملاذات الضريبية تهرباً من سداد الضرائب فى مصر.

لذلك فإن ضرائب البورصة ليست الضريبة الوحيدة التى تحارب وتحاصر ويوقف تنفيذ قانونها بحسب الميرغني، بل هناك عدد من التشريعات التى تمس أصحاب الثروة والنفوذ ليستمر العمال والكادحون والفلاحون ومحدودو الدخل هم المولون الرئيسيون للضرائب فى مصر سواء ضرائب الدخل أو الضرائب غير المباشرة.

وفى ظل نسب فقر غير مسبوقة، وانكماش اقتصادى غير مسبوق، تبرز أهمية فرض الضريبة التصاعدية على المدى الزمنى المتوسط والطويل ليست فقط ضرورة لتمكين الدولة من مورد أساسى لدعم الإنفاق العام، ولتحقيق استقرار اجتماعى ودرجة من درجات العدالة الاجتماعية، ولكنها أيضا ضرورة حتى للنمو الرأسمالي، فكلما كان النظام الضريبى أكثر عدلًا ، كلما ساهم ذلك فى زيادة الطلب الفعال على السلع والخدمات (هذا إلى جانب آلية لرفع أجورهم سنويا بما يعادل أو يفوق نسبة التضخم) وتلك الزيادة فى الطلب الفعال تدفع بدورها إلى زيادة المشروعات، والاستثمارات لتلبية ذلك الطلب مما يعنى نموا إنتاجيا مستداما.

تحقيق: أسماء زيدان

الفاشل يرفع إيده!!

أحمد عادل هاشم

فى العام ١٩٦٢ أنتجت شركة «صوت الفن» فيلم الخطايا من إخراج المبدع الراحل حسن الإمام ، وشدا فيه العندليب عبد الحليم حافظ برائعته «وحياة قلبى وأفراحه» كلمات فتحى قوره وتلحين المبدع منير مراد ..

«الناجح يرفع إيده «كوبليه» خالد من كلمات أغنية تم إنتاجها العام ١٩٦٢، عام صعود «الشهادة الجامعية» إلى قمة الهرم الاجتماعى فى مصر ،وهو ماعبر عنه النجم الكبير عادل إمام (١٩٦٤) فى مسرحية «أنا وهو وهى « بجملته الخالدة :»بلد شهادات».ما يعكس مكانة التعليم و الشهادة الجامعية داخل المجتمع كله بمختلف فئاته، يكاد يكون إجماعا وطنيا على أولوية التعليم فى أجندة الأسرة المصرية.

بيد أن وَقْع التأثير «الثقافى الاجتماعي» للأغنية على الطبقة الوسطى (٤٠٪ تقريبا من عدد السكان) كان أكثر بريقا ، فقد لمست الأغنية الوجدان العام لهذة الشريحة الاجتماعية الواسعة ، التى تنظر إلى الشهادة الجامعية باعتبارها وثيقة تأمين المستقبل كله، تساعده فى الوصول إل مكانة اجتماعية مرموقة ،فضلا عن كونها أهم المسوغات الرسمية للحصول على وظيفة بالدولاب الإدارى للدولة الذى يتضخم يوما بعد يوم لتنظيم عملية الإنتاج الضخمة التى يدرها أكثر من ألف مصنع تم إنشاؤها خلال ٤ سنوات (٦٤.١٩٦٠) فضلا عن تجهيز الاحتياجات اللوجستية التى يحتاجها التوسع الأفقى للتعليم فى الحضر والريف.. أتى التعليم الحكومى بثماره ، ولم يتأخر.

بالتعليم ، يدخل الخزانة العامة للدولة أكثر من ٢٤ مليار دولار تحويلات العاملين بالخارج الذين تعلم أغلبهم فى مدارس وجامعات الدولة، ليسجل الاستثمار الحكومى فى التعليم أعلى مصدر للدخل القومى من العملة الصعبة.. هو استثمار أرباحه مضمونة للمصريين ، يؤمن لهم رغيف العيش منذ الامس وإلى اليوم وحتى الغد.

لكن رياح السياسة أتت بما لا تشتهيه الكتل الاجتماعية الكبيرة التى تعتمد على التعليم الحكومي، زهيد التكاليف..رياح بعثرت كل الأوراق، ونثرتها على أبواب مدارس وجامعات «الاستثمارالخاص» ، بتشجيع من الدولة التى ائتمنت رجال الاستثمار الجدد على التعليم ، وصدقت تعهداتهم بتطويره، واعتقدت أن رأس المال الخاص،الذى ينجح فى التجارة والبناء والسياحة والصحة وغيرها، يمكن أن ينجح مع التعليم ..لكن الاستثمار أدار العملية التعليمية بمفهوم التجارة، ربح وخسارة ، أكثر من اهتمامه بالمنتج (الطالب) الذى يخرج من الجامعة إلى المجتمع كإضافة، وليس عبئا عليه.. تحول التعليم فى مصر إلى «بزنس» مضمون الربح.

الدولة ساهمت أيضا (بقصد أو بدون) فى توسعة سوق التعليم الخاص، من خلال ا

نسحابها خطوة . خطوة من «حوش المدرسة»، مرة بالإنفاق الهزيل ،ومرة بالتكدس الهائل للتلاميذ فى الفصول ، ومرات بإزدراء المعلم ذاته، وتحويله إلى «أجير» يحصل على راتب شهرى لا يكفل له كرامته وهيبته ، فيضطر إلى العمل بـ»اليومية» ويدخل سوق الدروس الخصوصية..

منذ الاحتلال الانجليزى لمصر وحتى «مدارس الحكومة «فى الستينات ،لم تبادر وزارة تعليم واحدة طوال تلك السنوات بتغيير مناهج التعليم ، بما يقفز به إلى أعلى غاياته فى الاختراع والابتكار، واعتقدنا أن رجال «البزنس» قد يفعلوها ، ويقدموا وثيقة «جدارة اجتماعية» تعيد لرأس المال الخاص دوره الوطنى العام فى تنمية البلاد..لكن شيئا لم يحدث ، وأصبحنا أمام عملية تعليمية زائفة ومضللة تأكل العقول وتجرف الأفكار وتدوس على الابتكار بلا رحمة.. تعليم يعود إلى زمن البدايات .. زمن الكتاتيب.. زمن الحفظ والتلقين.

«الناجح يرفع إيده» أغنية الأجيال السابقة والحاضرة واللاحقة، فى المدرسة والجامعة ، وأيضا فى المستشفى والمصنع والورشة، صحيح أن ذلك لم يكن كذلك على الوجه الأفضل، إلا أن «الفكرة»فى حد ذاتها (الناجح) تبقى خالدة فى الضمير الجمعى للمصريين ، ومسطرة من بين «قياسات الفضيلة والشرف داخل النظام الاجتماعى العام ، إلى جانب أن الفكرة فى حد ذاتها تقيم للعدالة آلية يراها الجميع بشفافية ووضوح تحقق الرضا العام.

فى هذا الزمن الجاري، ليس مهما أن يرفع النَاجح إيده ، فربما لا يجد له مكانا على «السلم» فالأولوية باتت لـ «المَرّضى عنه» حتى لو كان فاشلا فى التعليم..غنوا «الفاشل يرفع أيده» فربما صوتك يطرب أحدهم ويرشحك وزيرا للتعليم.

لماذا يعجز العالم عن وقف حرب غزة؟

مخاوف غربية من ممارسة ضغوط مباشرة خشية أن تؤدى لحدوث انهيار شامل فى الموقف الإسرائيلى يلحق أضرارا كبيرة بالاستراتيجية الأمريكية والغربية

تحول القطاع الى مدن للموت

جيش محتل يقاتل حربا غير متكافئة

الحرب لا تدور فى السياق الإسرائيلى الفلسطينى فقط ..وإنما هى حرب مرتبطة بالصراع الأوسع على النفوذ فى المنطقة

إذا لم تكن هناك إمكانية لإنهاء الصراع، فإن إدارته قد تكون هى البديل الأفضل، كذلك الحال بالنسبة للحرب، فإذا كان من المتعذر وضع نهاية لها، فمن الأفضل امتلاك الأدوات اللازمة لإدارتها. ينطبق هذا الأمر، بشكل واضح، على الصراع الإسرائيلي-الفلسطيني، بوصفه صراعا اجتماعيا ممتدا ومعقدا، بل إنه صراع شديد التعقيد، نظراً لتعدد مستوياته وأبعاده، وبسبب تدخل الكثير من اللاعبين، سواء من دول الإقليم أو القوى الكبرى، وكذلك لتدخل عدد متزايد من اللاعبين من غير الدول، مثل فصائل المقاومة الفلسطينية أو جماعات أخرى تخوض صراعات متعددة المستويات فى لبنان والعراق وسوريا واليمن. ولا تلوح فى الأفق أى نهاية قريبة لهذه الجولة من العمليات العسكرية المستمرة فى غزة، وعلى الجبهة اللبنانية، والتى تختلف فى طبيعتها عن الهجمات المسلحة التى تشنها إسرائيل بشكل متكرر على الجبهتين وكذلك على الجبهة السورية.

حرب غزة .. دمار واسع

رحيل إلى المجهول

صراع القطاع المحاصر ممتد بين الحرب المحدودة والحرب المفتوحة

هناك صراعات كثيرة فى العالم تستعصى على الحل، لكنها لا تشهد مثل هذا النمط من اندلاع المواجهات العسكرية المتكررة، فهناك صراع فى شبه الجزيرة الكورية، والصراع حول إقليم كشمير على الحدود المشتركة بين الهند وباكستان والصين، فى منطقة الهيمالايا، وآخر بين الصين والهند فى منطقة التبت. وهناك الصراع على النفوذ والموارد فى بحر الصين الجنوبى وبحر الصين الشرقي. وهناك الصراع على إقليم الصحراء بين المغرب من جهة وجبهة البوليساريو والجزائر من جهة أخرى، وهناك الصراع فى منطقة القرن الأفريقي، وكثير من النزاعات الحدودية والنزاعات على استغلال الموارد فى المناطق الاقتصادية الخالصة فى البحار والصراع على الموارد فى أعالى البحار. وهذه الصراعات تستعصى على الحل نظرا لحدة التعارض بين المصالح بين الأطراف المنخرطة، وهى مصدر لاحتمال اندلاع حروب أو نزاعات مسلحة، لكنها تخضع لترتيبات وصيغ لإدارتها على نحو يقلل من اندلاع الحرب.

ومن بين هذه الصراعات المستعصية، والتى جرى تطوير آليات لإدارتها لتقليل احتمالات تدهورها إلى نزاعات مسلحة أو حروب، الصراع العربي-الإسرائيلى الأوسع. وعلى الرغم من أن تأثيرهذا الصراع على كثير من الصراعات الأخرى فى منطقة الشرق الأوسط التى تعانى من عدم استقرار مزمن منذ تشكل دوله فى مطلع عشرينات القرن الماضي، إلا أن ترتيبات إدارته، على الأقل على مستوى العلاقات بين الدول، أثبتت قدرتها على الصمود فى مواجهة الضغوط التى تدفع فى اتجاه إشعاله من جديد من خلال القوى الراغبة فى توسيع جبهة الحرب الراهنة فى غزة، على الجانبين الإسرائيلى والفلسطيني، وفد برز هذا الأمر بشكل جلى فى مشاركة قوى إقليمية فى صد الضربة الإيرانية بالصواريخ والمسيرات، مع أطراف دولية، للحيلولة دون اتساع نطاق الحرب.

بين إدارة الصراع وإدارة الحرب

السؤال الجدير بالبحث، هو: لماذا لا تخضع الحرب فى غزة وكذلك المواجهات العسكرية، المحسوبة بدقة، على الحدود اللبنانية، للنمط العام الذى يحكم الصراع الأوسع بين إسرائيل وبين الدول العربية وقوى إقليمية أخرى مثل إيران وتركيا؟ ولماذا تعجز القوى الإقليمية والدولية عن وضع نهاية للحرب فى غزة المستمرة فى غزة منذ تسعة أشهر؟ ولماذا تفشل جهود الوساطة التى تبذلها تلك القوى من أجل إقناع الجانبين على وقف القتال والبحث عن وسائل أخرى لمواصلة الصراع؟

يظهر من تحليل تصريحات كبار المسؤولين فى الحكومة الإسرائيلية، بما فى ذلك رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو نفسه، وكذلك تصريحات كبار المسؤولين فى حركة حماس التى تتولى الإدارة فى قطاع غزة وتتولى قيادة المقاومة المسلحة فى القطاع، السعى وراء أهداف ليست فقط مرتفعة التكلفة، وإنما أيضا تبدو مستحيلة من الناحية العملية. فالهدف المعلن إسرائيليا هو مواصلة الحرب حتى تحرير المختطفين والقضاء على حماس وفصائل المقاومة الأخرى بحيث لا تصبح غزة مصدرا لتهديد أمن إسرائيل مرة أخرى، فى حين يصر قادة الفصائل المسلحة فى حماس على قدرتهم على مواجهة إسرائيل عسكرياً واستنزاف قدراتها على نحو يضعفها، علاوة على إصرارهم على عدم تبديد الانتصار الرمزى الذى حققوه فى هجوم السابع من أكتوبر، والذى ألحق ضررا بالغا بصورة إسرائيل ومكانتها، بتقديم تنازلات فى مسألة الرهائن والمحتجزين الإسرائيليين لديها دون الحصول على مزيد من المكاسب، لاسيما فى إطلاق سراح أكبر عدد ممكن من الأسرى الفلسطينيين فى السجون الإسرائيلية.

كذلك، من غير الوارد تحقيق أى تقدم فى تصورات الطرفين لترتيبات الوضع فى غزة فى اليوم التالى لانتهاء الحرب، ذلك لإصرار إسرائيل على عدم تكرار ما أسفرت عنه اتفاقيات الهدنة السابقة فى غزة، فى حين تبدى حركة حماس ترددا فى موقفها من ترتيبات إدارة قطاع غزة بعد الحرب، على خلفية انقسامات داخل الحركة على ما يبدو، لكن ثمة توافقا عاما بين حماس ومؤيديها على أن أى صيغة تستبعد أى دور للحركة فى ترتيبات ما بعد الحرب، ستعد تنازلا وإقرارا بهزيمتها وإهدارا لما تكبده المدنيون فى غزة من تضحيات جسيمة على مستوى الخسائر وتدمير البنى التحتية من مستشفيات ومدارس وطرق ومرافق. ويبدو أن المنخرطين فى جهود الوساطة المصرية القطرية الأمريكية، باتوا مقتنعين بصعوبة إحراز أى تقدم بخصوص ترتيبات الوضع فى اليوم التالى للحرب، ويركزون جهودهم عبر الجولات المكوكية والماراثونية لإبرام صفقة بين إسرائيل وحركة حماس تمهد لهدنة مؤقتة تتحول إلى هدنة دائمة فى غزة، غير أن سلوك الأطراف المنخرطة فى المواجهات العسكرية يظهر امتلاكها قدرة كبيرة على المناورة ومقاومة الضغوط من أجل انتزاع تنازلات تمهد لهدنة طويلة الأمد.

كذلك، فإن تحليل نمط المواجهات الإسرائيلية – الفلسطينية فى غزة منذ عام ٢٠٠٧، وإلى حد ما فى الضفة الغربية يشير إلى أن مثل هذه الهدنة طويلة الأمد مستبعدة بسبب جمود العملية السياسية لتسوية الصراع، وضعف قدرة الأطراف المعنية على إدارته، نظرا لطبيعته المعقدة، وينطبق هذا الأمر إلى حد ما على الجبهة اللبنانية، رغم اختلاف الوضع اللبنانى عن الوضع الفلسطيني، الأمر الذى يؤثر على القدرة على التنبؤ بمسارات هذا الصراع، خصوصا مع عدم امتلاك أى من أطرافه الرئيسية أو المؤثرة القدرة على حسمه لصالح هذا الطرف أو ذاك. حتى لو تم التوصل إلى هدنة لا تبدو فى الأفق أى فرصة لإحراز تقدم فى تسوية للصراع يؤسس لوضع جديد فى العلاقة بين الفلسطينيين والإسرائيليين، سواء على أساس حل الدولتين أو على أساس حل الدولة الواحدة التى تمنح مواطنيها فرصا متساوية وتنتهى فيها أشكال التمييز والفصل العنصري.

وبعيداً عن تعقيدات إدارة الصراع، والتى تعد سبباً رئيسياً لميل هذا الصراع للانفجار بشكل متكرر فى صورة مواجهات مسلحة وما يترتب عليها من مآسى إنسانية، فإن الحرب الأخيرة فى غزة تكشف أيضا عن تعقيدات متزايدة فى إدارة الحرب مقارنة بالجولات المسلحة السابقة، وهى تعقيدات مرتبطة إلى حد كبير بنمط هذه الحرب التى تندرج فى فئة الحروب غير المتكافئة، ومرتبطة كذلك بالمواقف الأيديولوجية للأطراف الرئيسية المنخرطة فى الصراع، والتى تستبعد أى إمكانية للتوصل إلى حلول وسط، تؤدى إلى هدنة، وتقليل للخسائر المترتبة على المواجهات المسلحة، وبالتأكيد فإن تصوير الصراع على أنه "صراع وجود" ينفى أى إمكانية لحل يقوم على مبدأ التعايش بين الخصمين، وتتحول إلى الهدنة، سواء كانت قصيرة الأمد أم طويلة الأمد إلى فرصة لالتقاط الأنفاس وإعادة ترتيب الأوراق لاستئناف القتال من جديد.

حرب غير متكافئة

تندرج الحرب الدائرة الآن فى غزة وما سبقها من جولات ضمن نمط الحرب غير المتكافئة، الذى يشير إلى حرب بين خصمين متحاربين، لا يمتلكان قدرات وموارد متكافئة، الأمر الذى يؤثر على الخطط الاستراتيجية والتكتيكية للطرفين، وهما عادة جيش نظامى وفصائل وميليشيات غير نظامية، ينظر إليها غالباً على أنها قوات مقاتلة غير قانونية. وهى بهذا تصف نزاعاً عسكريا لا تكون فيه موارد المتحاربين متكافئة، وعليه، فإن كل طرف فى هذا الصراع يعمل على استغلال نقاط ضعف الطرف الآخر، من خلال الاعتماد على استراتيجيات وتكتيكات غير تقليدية للحرب، وغالبا ما يرتبط هذا النمط من الصراعات المسلحة بما يعرف بالنزاعات منخفضة الحدة. وعلى الرغم من اعتماد الجيش النظامى المنخرط فى هذه الحرب على منظومات قتال رئيسية، إلا أنه يلجأ فى مواجهة الخصم الذى يعتمد بالأساس على منظومات قتال فردية وعلى المقاتل الفرد، إلى أساليب قتالية مختلفة جرى تطويرها من خلال استراتيجيات لمواجهة التمرد، إذ غالباً ما ينظر إلى هذه الفصائل والميليشيات على أنها حركات عصيان متمردة، حتى لو كانت حركات تحرر وطني، وهى بهذا المعنى شكل من أشكال الحرب غير النظامية. وتعد القوى غير النظامية فى مثل هذا النوع من الصراعات العنيفة، خصما قويا، رغم أنها أقل عددا وتسليحا ودعما، من القوى النظامية التى تواجهها، لأنها تمتلك دافعا للاستمرار فى الحرب.

فى البداية، واجهت الجيوش النظامية والدول الكبرى مشكلات عملياتية فى مثل هذه الحروب، إذ تمكنت هذه الجماعات الصغيرة الأكثر خفة والأقل تسليحا من استغلال نقاط الضعف فى التشكيلات العسكرية الكبيرة وتمكنت من توجيه ضربات موجعة كبدتها خسائر لا تتناسب مع محدودية القدرات التى تمتلكها هذه الجماعات، وكان السؤال الرئيسى الذى شغل الأكاديميات العسكرية فى الدول الكبرى، لماذا تخسر القوى الكبرى ما اصطلح على تسميته الحروب الصغيرة. وسعت هذه الأكاديميات والجيوش إلى تطوير استراتيجيات لمواجهة مثل هذا النوع من الجماعات المسلحة، وعلى الرغم من ذلك، يظل فى مقدور الجماعات غير النظامية تحقيق النصر على القوى الكبرى، ولعل تجربة الحرب الأفغانية وحرب العراق، تأكيد لهذه الحقيقة، وبالرغم من اختلاف السياق، إلا أن التدخل الأمريكى فى الحالتين لم يحقق سوى مكاسب جزئية ومحدودة تلاشت مع الانسحاب.

وربما تعزز هذه النتائج إيمان حركات المقاومة بقدرتها على تحقيق الانتصار، فى نهاية المطاف، مما يزيد من رغبتها فى الاستمرار فى القتال، وهى حقيقة يؤكدها موقف حماس وفصائل المقاومة الفلسطينية فى غزة، وإلى حد ما فى الضفة الغربية وجنوب لبنان، وكذلك الحوثيون فى اليمن والفصائل الشيعية التى ترعاها إيران فى إطار ما يعرف بمحور المقاومة. وربما كانت نقطة القوة التى تتمتع بها هذه الجماعات تتمثل فيما لاحظه طالب ماجستير فى مجال العلاقات الدولية، طبق نظرية المباريات على الحروب الصغيرة – غير المتكافئة – وقارن بينها وبين مباريات كرة القدم، وخلص إلى أن الجماعات الصغيرة تكسب الحرب غالباً من خلال قدرتها على تغيير قواعد الحرب وفرض قواعد جديدة على الخصم الذى ينخرط فى القتال بالقواعد المألوفة للحرب.

وفى هذا السياق، يمكن فهم تصريح القائد العسكرى لحماس يحيى السنوار تعليقا على المفاوضات الخاصة بانسحاب القوات الإسرائيلية من ممر على الحدود بين قطاع غزة ومصر، حين أشار إلى أن القوات الإسرائيلية متواجدة تماما حيث تريدها المقاومة الفلسطينية. ويشير اعتراف الجيش الإسرائيلى مؤخراً بحجم الخسائر التى تكبدها فى الآليات والمركبات إلى صعوبة المعركة التى يواجهها، كذلك فإن دفع حركة حماس والفصائل الفلسطينية بأسلحة جديدة فى المواجهة، مثل مضادات الطائرات المحمولة كتفاً والتى تمكنت من إسقاط طائرة هليكوبتر إسرائيلية يعطى رسالة تشير إلى عدم قدرة الجيش الإسرائيلى على تحقيق الهدف من الانتشار على الحدود المصرية مع قطاع غزة وهو وقف ما تزعم أنه تهريب للأسلحة إلى المقاومة الفلسطينية من خلال الأنفاق عبر الحدود، وهى مزاعم لا يقوم عليها أى دليل. الأمر الذى دفع إسرائيل إلى البحث عن بدائل من خلال عرض الانسحاب من منطقة الحدود وطلب مساعدة مصر فى مراقبة الحدود، مما يشير إلى اعترافها بالفشل فى تحقيق الهدف من توسيع الحرب لتشمل مدينة رفح ومنطقة الحدود وما سببه ذلك من توتر فى العلاقات مع مصر، هدد اتفاقية السلام الموقعة عام ١٩٧٩.

حرب فى سياق أوسع

يزيد من تعقيد إدارة الحرب فى غزة، أنها حرب لا تدور فى السياق الإسرائيلى الفلسطينى وحسب، وإنما هى حرب مرتبطة بالصراع الأوسع على النفوذ فى منطقة الشرق الأوسط.، وتحديدا المواجهة بين إيران الولايات المتحدة. وهو ما يرصده كتاب باللغة الإنجليزية صدر مؤخراً بعنوان "حروب الطموحات: صراع الولايات المتحدة وإيران على الشرق الأوسط"، وهو من تأليف أفشون أوستوفار، وهو أستاذ مشارك فى شؤون الأمن القومى فى كلية الدراسات العليا البحرية، بولاية كاليفورنيا، وهو باحث متمرس ويتمتع بخبرة واسعة فى شؤون الأمن القومى والشرق الأوسط من خلال عمله فى وزارة الدفاع الأمريكية وفى مركز الدراسات الإستراتيجية واشنطن وعمله كباحث فى مركز مكافحة الإرهاب فى وست بوينت بكاليفورنيا، ومن خلال أبحاثه التى تركز على قضايا الصراع والأمن فى الشرق الأوسط، وتخصصه فى إيران ومنطقة الخليج.

ويرصد الكاتب كيف أن الغزو الأمريكى للعراق فى عام ٢٠٠٣، كان نقطة تحول فى استراتيجية إيران الإقليمية وفى المواجهة الإيرانية الأمريكية، ويشير إلى قدرة إيران على الاستفادة من التحولات السياسية والجيوسياسية فى المنطقة فى أعقاب الانتفاضات الشعبية فى العالم العربى فى عام ٢٠١١ لتعزيز تواجدها فى العراق وفى سوريا ولبنان واليمن، وفى تعظيم أوراقها فى مواجهة السياسة الأمريكية والإسرائيلية، ويشير إلى التداعيات الأوسع لهجوم طوفان الأقصى فى السابع من أكتوبر وكيف أنه شكل نقطة تحول، من المحتمل أن تستمر أصداؤه وتداعياته لعقود، إذ أنه ينبئ عن تشكل نظام جديد فى المنطقة سيؤثر على المصالح الأمريكية والإيرانية. ويرى أنه لا توجد دولة فى المنطقة تمكنت من تعزيز أهدافها الاستراتيجية مثل إيران، لا سيما أن وكلاءها أثبتوا قدراتهم فى الحرب، التى أثبتت عدم قدرة إسرائيل على تدمير القدرات العسكرية للحركات التى تدعمها إيران والمتمثلة فى ترسانة الصواريخ والطائرات المسيرة، الأسلحة الرئيسية المستخدمة فى توجيه ضربات مؤثرة تكشف مكامن الضعف فى الاستراتيجية الإسرائيلية، ولدى الخصوم الآخرين المحتملين.

ونجحت إيران فى تطوير استراتيجية لردع الولايات المتحدة وإسرائيل من خلال توظيف الحرب غير المتكافئة عبر الجماعات المرتبطة بها فى المنطقة، ومن خلال توجيه ضربات محسوبة بحيث لا تستفز الطرفين لشن هجوم أوسع يستهدف قواتها النظامية وأيضا من خلال تعزيز علاقاتها مع روسيا والصين وتطوير التعاون العسكرى والاستراتيجى مع القوتين المناوئتين لواشنطن، لكن على صعيد المواجهة العسكرية بات واضحا للولايات المتحدة وإسرائيل أنه ليس بالإمكان الدخول فى مواجهة عسكرية مباشرة مع إيران بدون تدمير القدرات العسكرية للجماعات المرتبطة بها أولا.

وعلى الرغم من حرص الولايات المتحدة على الدخول فى مواجهة عسكرية مباشرة على إيران أو أن تسمح بتدهور فى الوضع العسكرى وتصعيد للحرب فى غزة وعلى الجبهة اللبنانية قد تؤدى إلى تورطها فى مثل هذه المواجهة وتركيزها بدلا من ذلك على تصعيد الضغوط من أجل إحداث تغيير للنظام فى إيران على نحو يأتى بنظام يتبع نهجا مغايرا، إلا أن التحليل التاريخى لسياسة إيران الخارجية فى منطقة الخليج وفى منطقة الشرق الأوسط الأوسع محكوم باعتبارات جيو- استراتيجية وجيوسياسية، ولا علاقة له بموقف النظام أو توجهاته الخارجية، وعليه فإن إيران ستظل لاعبا رئيسيا فى شؤون المنطقة على نحو يخدم طموحاتها ومصالحها الإقليمية والتى ستضعها دائما فى تناقض مع الخطط والطموحات الأمريكية والإسرائيلية، وسيكون من الصعب على أى نظام إيرانى التضحية بالمكاسب التى تحققت له، ولا مجال لتغيير هذا الموقف إلا إحداث تغيير جذرى فى نمط العلاقة بين إسرائيل وجيرانها، وهو أمر مستبعد فى ظل السياسات الإسرائيلية الحالية ومع استمرار الصراع الإسرائيلي- الفلسطيني.

وتفسر هذه التشابكات والصراع على النفوذ فى المنطقة عدم قدرة الولايات المتحدة ولا أوروبا على إنهاء الحرب الدائرة فى غزة من خلال ممارسة ضغوط مباشرة على إسرائيل خشية أن تؤدى تلك الضغوط إلى حدوث انهيار شامل فى الموقف الإسرائيلى يأتى بنتائج غير مرغوبة وتلحق أضرارا كبيرة بالاستراتيجية الأمريكية والغربية فى منطقة الشرق الأوسط الأوسع والتى تعد إسرائيل جزءا أساسيا منها. إن الخروج من المأزق الراهن ومن استمرار الحرب على غزة إلى أجل غير مسمى يحتاج إلى إعادة صياغة جذرية لمشروع التحرر الوطنى الفلسطينية وبنمط التحالفات الإقليمية والدولية التى يمكن بناؤها فى سياق هذا المشروع.

بقلم: أشرف راضي

د. أحمد فؤاد أنور: إسرائيل قابلة للانجراف كرصيف أمريكا البحرى على شواطئ غزة

السابع من أكتوبر ليست نهاية المطاف .. سيأتى 8 أكتوبر

تسعة أشهر مرت منذ انطلاق عملية طوفان الأقصى التى حطمت كبرياء جيش دولة الفصل العنصري، على يد المقاومة الفلسطينية المحاصرة فى القطاع منذ أكثر من ١٧ عامًا، إلا أنها استطاعت تمزيق الأساطير والأوهام التى رسمها الكيان الصهيونى حول نفسه، وأظهرته للعالم بأسره على صورته الحقيقية الهمجية البربرية، وفى هذا الصدد كان لجريدة المشهد هذا الحوار مع الأستاذ الدكتور أحمد فؤاد أنور، أستاذ اللغة العبرية بجامعة الإسكندرية وعضو المجلس المصرى للشؤون الخارجية. والباحث البارز المتخصص فى الشؤون الإسرائيلية والفكر الصهيونى ليحدثنا عن تأثيرات طوفان الأقصى على الداخل الصهيونى وما حققه الطوفان من إنجازات، وإلى متى ستدعم أمريكا هذا الكيان، وحقيقة قوة منظمات الضغط الصهيونى على الإدارة الأمريكية وغيرها من الموضوعات، وإليكم نص الحوار.

طوفان الأقصى أسقط أساطير إسرائيل عن نفسها وقبله كانت القضية الفلسطينية تتجه إلى مصير الهنود الحمر

يكفى المقاومة فى المفاوضات السياسية الجارية أنها تتعامل بندية ولم ترفع الراية البيضاء

● بداية أى مسمى ترى أنه الأدق لتوصيف الكيان الإسرائيلي؟

– أحب توصيف الكيان بأنه الدولة الصهيونية؛ لأنها مدموغة بصفة العنصرية من الأمم المتحدة بقرار سنة ١٩٧٤م، أما وصفه بالدولة اليهودية فهذا ربط فيه تعسف مع الديانة اليهودية واستغلالها بشكل أيديولوجي، وليس كل اليهود يؤيدون قيام دولة لهم فى فلسطين المحتلة. وكذلك أنا ضد مسمى الدول العبرية لأنه يعيدنا إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام بينما الكيان حديث النشأة ليس له صلة بهذا التاريخ القديم.

● ماذا تغير بعد أكثر من تسعة أشهر من طوفان الأقصى حتى الآن؟

– النقيض، قبل ٧ أكتوبر كان الحديث عن التطبيع مع الدول العربية، ونشاط اقتصادى مشترك، وكانت القضية الفلسطينية تتجه إلى مصير الهنود الحمر، وكانت إسرائيل تقدم صورة عن نفسها أن لديها قدرة على الردع، وتمتلك قوة استخباراتية عالية، وأن لها أذرع طويلة تستطيع أن تطال بها من تشاء، وأن تنقل الحرب خارج أرضها، وتنهى المعارك خلال أيام ...إلخ كل هذه الأساطير سقطت وأصبحت محل مراجعة داخل الكيان.

ثانيًا: أعاد طوفان الأقصى القضية الفلسطينية على الأجندة الدولية مرة أخرى وأصبحت هناك محاولات ترضية للفلسطينيين من الولايات المتحدة الأمريكية ومن الغرب ومن دول كثيرة ترى أنه وقع ظلم بَيِّن عليهم وحان الوقت لتقديم بعض الحقوق للفلسطينيين.

ثالثًا: بعد ٧ أكتوبر أصبح هناك حديث حول إمكانية استمرارية الكيان الصهيونى من الأساس، فهناك بعض اليهود الذين هاجروا إلى الكيان لأسباب اقتصادية بحتة عندما يشاهدون الموت ويرون الفشل الأمنى وحكومة غير قادرة على حمايتهم وغير قادرة على توقع هجوم قادم من مساحة محدودة محاصرة منذ سنوات على مساحة ٣٦٥ كيلو مترا مربعا، مسافة يستطيع الرجل المسن يدور حول غزة كلها فى ساعتين ونصف فهى بالطول ٤٠ كيلو مترا وبالعرض فى أعمق جزء ١٢ كيلو وأصغرها ٦ كيلو مترات بالدراجة والركض تغطى هذه المساحة بخط مستقيم فى دقائق.

●هذه مساحة ضيقة جدًا! فكيف يدعى الكيان دائمًا أنه توغل فى عمقها؟

– هذه ملاحظة مهمة أشكرك عليها، حقيقة تضحكنى الأخبار القادمة من قبل جيش الكيان حين يقولون إنهم توغلوا فى عمق غزة، فأى توغل فى عمق ٦ كيلو وفى محور صلاح الدين فيلادلفيا ١٢ كيلو مترا ، فالتغول يعنى الاجتياح فنحن فى الشهر التاسع بالتوقيت العبرى ومازال الكيان فى ولادة متعثرة للأوهام الإسرائيلية فى السيطرة على هذه الرقعة الضيقة المحاصرة.

● وماذا عن انتصاراتهم المزعومة داخل القطاع؟

– كما قلت انتصارات مزعومة، فإسرائيل واصلت أكاذيبها حول النصر منذ بداية المعركة، حين أعلنت أن نهاية المعركة ستكون فى مستشفى الشفاء، أوهموا الناس أنهم سيخرجون منها جميع الأسرى ويحيى السنوار مقيد فى الأصفاد وأن الحرب ستنتهى بدخول المستشفى، فخرج المتحدث الرسمى لجيش الاحتلال من المشفى بفيديوهات أقل ما توصف بأنها كوميدية وهو يعلن العثور على جدول المناوبات وأنه مكتوب بالعربية!. وتكرر الأمر ذاته فى خان يونس بأن دخولها هو ما سيجلب النصر المزعوم للكيان، وأنها مسقط رأس السنوار وأنه يسمع صوت جنازير الدبابات التى اقتربت منه، ودخلوا ولم يفعلوا شيئًا سوى العثور على حذائه!

وقالوا الكلام ذاته عن رفح ومحور صلاح الدين ففعلوا ما فعلوا ولم يقدموا جديدًا، ولم يحرزوا النصر الذى زعموه.

● وماذا عن إعادة بعض الأسرى؟

– إسرائيل لها تاريخ سيىء فى إعادة أسراها على مر التاريخ فهى تملك سجلًا حافلًا بالإخفاقات فى هذا المجال، دخلت كى تحرر جلعاد شاليط من غزة فخرجت بفضيحة دون أن تحرره، وكذلك ناحشون فاكسون جندى جرى اختطافه فى الضفة وسُرب فيديو له من غزة، فاعتقد جيش الاحتلال أنه فى غزة، إلى أن عرفوا مكانه فى الضفة فدخلت قوة لتحريره فخرجت بخسائر ومات المحتجز، وكذلك فى جنوب لبنان، فخسائرهم فادحة فى هذا المجال.

● لماذا لا يتورع قادة الكيان من التفاخر بجرائمهم التى ترتكب فى حق العزل فى غزة؟

– من يحكمون إسرائيل الآن هم مجموعة من الخارجين على القانون وذلك وفق القانون الإسرائيلى نفسه فهم أتباع حركة كاخ وأنصارها تلاميذ مائير كاهانا وهى من الحركات المحظورة. إلا أنه أصبح منها الآن وزراء خارجون على القانون، والمفترض أن الشاباك يلاحقهم لكن أصبحوا فى هذه الحكومة هم المسؤولون عن توفير الأمن.

● هل هذا العدوان يحقق الأهداف التى يدعيها قادة الكيان؟

– يزعم الجانب الإسرائيلى أنه يهدف إلى عدم تكرار ما حدث فى السابع من أكتوبر؛ لكن أرى أن السياسات الحالية تؤدى إلى ٧ أكتوبر جديد مستقبلًا، فبسبب الغطرسة الصهيونية وتجاهل الأيادى الممدودة بالسلام، وإضعاف السلطة فى الضفة بقيادة محمود عباس وإهانته وتجاهلهم من ٢٠٠٢م للمبادرة العربية للسلام، وتجاهلهم المبادرة المصرية فى ٢٠١٦م التى قدمها الرئيس عبدالفتاح السيسى فى محطة أسيوط ومن منصة الأمم المتحدة. لذا أرى أن الثامن من أكتوبر قادم كما جاء السادس من أكتوبر والسابع من أكتوبر، فنفس المعطيات تخرج نفس المخرجات، فبعد غلاف غزة سيأتى الدور على غلاف طولكرم وغلاف شبعا، وهذا ليس كلاما خياليا، لأن هؤلاء فى بطن إسرائيل ويعرفونها عن قرب فتكراره قادم وقابل للتكرار فى أى لحظة، فهناك قوات عرين الأسود ونور شمس فى مخيم بلاطة والجهاد قوى فى هذه المناطق، توجد حركة فتح وعناصر محدودة لحماس وكلها قادرة على تكرار ما حدث فى السابع من أكتوبر.

● هذه تغيرات مهمة.

– نعم هناك تغيرات تحدث على أرض الواقع، لكن إسرائيل ما زالت تتشبث بالوهم فكان المفترض أن يعيد الكيان حساباته سريعًا بعد اللطمة القوية التى تعرض لها من حماس لأول مرة عام ١٩٤٨م ويناقش ما جرى ويفكر كيف يعيد قوة الردع التى انهارت، لكنهم يعملون على فكرة "المخوفاتى الطيب" أو المحتل الضحية والاثنان لا يجتمعان فإما هذا أو ذاك فهناك خلل كبير داخل الكيان.

● هل تعانى إسرائيل بالفعل من حرب وجودية؟

– واضح أن الكيان يعانى من حرب وجودية بلا شك، بدليل أن هناك عدوان ثلاثى على غزة إسرائيلى إنجليزى أمريكى مباشر وتدعمهم دول أخرى، فأمريكا أعلنت أنها أتت بحاملة طائرات من أجل حماية الكيان والجانب البريطانى الذى أعلن عن قيامه بطلعات جوية، وهناك الرصيف البحرى الأمريكى الذى أخذ وقتاً كبيرًا فى تجهيزه وفشل فشلاً ذريعًا فى وقت قياسي، فإسرائيل يمكن أن تكون مثل الرصيف البحرى الأمريكى على شواطئ غزة يمكن أن ينجرف فى أى لحظة، فكما انسحبت من أفغانستان دون تمهيد وكانت تقول أنها ستبقى للأبد كذلك إسرائيل ستذهب رغم أنها تقول أنها باقية للأبد.

● هل إسرائيل بهذه الهشاشة التى تجعل من جماعة محاصرة برًا وبحرًا وجوًا لسنوات قادرة على أن تزيلها من الوجود وهى من هى بما تمتلكه من دعم غربى غير محدود؟

– نعم. لأن المشهد غير مسبوق فلم يكن يدور فى ذهنهم أن أحدًا لديه القدرة على الاقتراب من الجدار، لكن المقاومة فعلت، انتصرت بحلول بدائية مبتكرة على التكنولوجيا الإسرائيلية الفائقة التى كانت تفاخر بها، فدخلت قوات القسام الغلاف بالسيارات نصف نقل والدراجات النارية وأصبحوا فى قلب المعسكرات الصهيونية، وسقط غلاف غزة بالكامل فى يد المقاومة. هذه الصدمة لا يمكن أن يتجاوزها الكيان، جعلتهم يقصفون لمدة عشرة أيام من ٧: ١٧ أكتوبر غلاف غزة بالطائرات والدبابات؛ لأنه يريد أن يتخلص من موضوع الأسرى ويدخل على غزة ولم يكن مهمًا بالنسبة له أرواح مواطنى الكيان وذلك يدل على تخبط إسرائيل وحالة الهلع التى كانت فيها وجرى الاستنجاد بأمريكا وإنجلترا وفرنسا التى هرعت دون تأخر لنجدة الكيان من ورطته.

ما قامت به المقاومة كان عملية متكاملة وغير متوقعة واختراق الجدار الذى تبين أنه وهمي، والأخطر من كل ذلك أن هذه كانت جبهة واحدة، ويتوقع أن القدس والضفة الغربية ولبنان وسوريا اليمن العراق كلها ستنتفض، بالإضافة إلى مخاوفه من مصر، فزوال الكيان فى السابع من أكتوبر لم يكن هاجسًا بل تجسد لهم كحقيقة.

● هل ستستمر أمريكا فى دعمها اللامحدود للكيان رغم حرب الإبادة التى يرتكبها فى حق شعب أعزل ومحاصر؟

– أمريكا لديها مصالح، وعلاقتها بالدول نفعية، ولا يمكن أن تستمر فى دعمها للكيان إلى الأبد، فعند حد معين ستفكر فى الفاتورة الأخلاقية والفاتورة القانونية والفاتورة الأمنية الباهظة، فهى تمتلك علاقات جيدة بمصر ودول الخليج وتركيا وفى المقابل الدور الوظيفى لإسرائيل يتقلص، خاصة وأن أمريكا لديها معركة مع الصين وروسيا، وتخشى أن يستغلا هذا الحشد ضدها ويتحالفون مع دول مثل كوريا الشمالية وإيران زائد عناصر من دول عربية، ساعتها ستجد الإدارة الأمريكية المعادلة تختل.

يضاف إلى ذلك أن أمريكا كانت توظف محكمة العدل الدولية بطريقة معينة ضد خصوم الغرب، وحاليًا يتوجب عليها أن تتنازل عن شيء من الاثنين إما عن محكمة العدل الدولية وتشويهها وفى ذلك تشويه للسياسة الأمريكية نفسها على مدار عقود أو تتنازل عن إسرائيل. لكليهما دور وظيفى بالنسبة لأمريكا ولا يستقيم الجمع بينهما، فإما أن تتخلص ممن وصفتهم المحكمة بأنهم مجرمى حرب – أى قادة دولة الكيان – بوصفهم كروتا محروقة أو تتخلص من المحكمة نفسها مما يعنى اعتراف أمريكا بأن ما قامت به فى السابق بناء على قرارات المحكمة غير صحيح فالقذافى وصدام حسين وبوتين...إلخ كانوا على صواب.

●يهدد الكيان الصهيونى بأنه سيعيد بيروت إلى العصر الحجرى فهل هو قادر على اجتياح لبنان وأن يفعل ما فعله فى غزة؟

– من حيث القدرة نعم؛ لكن التكلفة ستكون باهظة على الكيان، فحزب الله أقوى بمراحل من حماس يمتلك موانى بحرية ومطارات وله متنفس مع العالم وهذا ما تحلم به المقاومة فى غزة. فدخول إسرائيل إلى لبنان هو دخول إلى مستنقع، وحل سبق أن جربته وفشل ولم تستطع القضاء على المقاومة.

حركات المقاومة فى الاجتياح البرى لا تتصدى للدبابات لحظة دخولها؛ لكنها تنتظر أن تتمركز فى أماكن معينة وتستقر أمورها ويصبح للقوات روتين يومى وبعدها تخرج من تحت الأرض وتقوم بقصف القوات المعتدية واصطيادها.

●حتى الآن لم يدخل حزب الله المعركة بكل قوته ما سبب ذلك فى رأيك؟

– المقاومة فى جنوب لبنان لها حساباتها السياسية المعقدة، ولديها المعلومات الكافية عن المناطق الحساسة فى الكيان، فحتى عندما ترتدى عناصر الجيش الإسرائيلى الزى المدنى ويجلسون فى مصانع أو بيوت تعرفهم المقاومة وتستهدفهم بدقة شديدة. كما أنها تسرق من الكيان أسلحة مثل الصواريخ وأجهزة التوجيه، وعندما يكتشف الجيش الصهيونى عدم وجودها يفشل فى العثور على من فعل ذلك. والمقاومة فى جنوب لبنان مخترقة الجيش الصهيونى سواء عبر وسطاء أو تجنيد عناصر من داخل الجيش الصهيونى لحسابهم مقابل الأموال.

●ما رأيك فى عدم تصعيد حزب الله لحربه حتى هذه اللحظة؟

– موقف حزب الله عليه علامات استفهام.. واضح أن هناك ضغط على إيران ليضغط على حزب الله حتى لا يصعد، مع أن السيناريو المتوقع أن الدور قادم على حزب الله، فور إبرام الاتفاق مع غزة، إسرائيل تفضل أن تقاتل على جبهة واحدة بدلًا من جبهتين.

●هل ترى أن الوقت قد حان ليدخل بثقله فى المعركة الآن؟

– حزب الله سيكون مخطئًا إن لم يدخل بثقله فى الحرب فى هذه اللحظة، لأنه بعد وقف إطلاق النار فى غزة سينفرد به الكيان، والمفترض فى هذا الوقت المنشغل فيه الكيان بحرب غزة أن يضغط ضغطًا كاملًا حتى يحسن شروط التفاوض له فى المقاوم الأول ثم لحماس. إن لم يستخدم حزب الله ترسانته العسكرية الآن فمتى سيفعل؟! وإن لم يفعلوا عليهم أن يرسلوا رسائل تصعيدية لقادة الكيان إن لم تفعلوا كذا سنضرب تل أبيب أو القدس أو حيفا، ...إلخ، والفيديو الذى أفرج عنه حزب الله لطائرة التجسس "الهدهد" يأتى فى السياق الذى قلته لك ويعتبر بداية جيدة لضغط على الكيان ويدخل ضمن الحرب النفسية التى تربك حسابات نتنياهو.

●استخدمت حماس الأنفاق بشكل عبقرى لمواجهة الجيش الصهيونى فهل يعتمد حزب الله على الأنفاق مثلهم؟

– طبعًا المقاومة تبتدع طرقا غير موجودة فى الكتب، فى فيتنام استخدمت الأنفاق بشكل جيد لكن يبدو أن الفلسطينيين لديهم خبرة غير عادية فى مسألة الأنفاق، حزب الله منفتح على حركات المقاومة استفاد من الفلسطينيين وهم استفادوا منه، وربما لديهم قدرات أكثر من الأنفاق يعتمدون عليها. رأينا فى السابع من أكتوبر الطيران الشراعى والأنفاق وغيرها من الأدوات المبتكرة التى تفوقت على التكنولوجيا الحديثة. وما يساعد حزب الله الآن أكثر أن الجيش الإسرائيلى أصبحت قدراته مكشوفة وأقصى ما يمكن أن يبذله ولم يعد لديه ما فى جعبته ما يخفيه من قدرات.

●ما الذى سيجنيه الجيش الإسرائيلى من حربه على لبنان؟

– يتخيل الجيش الإسرائيلى إذا ضرب لبنان سيحسن من شروط تفاوضه مع حزب الله ويقلص من قدرات الحزب، والضغط على المفاوض اللبنانى عبر قصفه لبنوك أهداف رخوة مثل المستشفيات والمدارس...إلخ

●ما تفسيرك لسهولة اغتيال إسرائيل لقادة المقاومة خارج فلسطين؟

– من الممكن أن يعود سبب ذلك إلى الثقة الزائدة لدى قادة المقاومة بأنهم يذهبون إلى مكاتبهم فى وقت الحرب، فى مقر علني، وفى ظنهم أن إسرائيل لن تستهدف القيادة السياسية فى هذا الوقت لكنها فعلت.

وحين تتحدث عن إيران ولبنان فهما دولتان تعانيان من الطائفية، وهناك طوائف فيها متصالحة مع إسرائيل منذ عقود وتتعاون معها تحت شعارات مثل الشعوب المحبة للسلام ومثل هذه الشعارات أو مقابل مصالح مباشرة مادية يحصلون عليها مقابل المعلومات التى يمدون بها الكيان.

●كيف تقيم المستوى السياسى الدبلوماسى للمقاومة الفلسطينية؟

– أعتقد أنها تدير معركتها الدبلوماسية بحنكة وبعد نظر ورؤية شاملة، وتقدير كبير لحجم مصر، وذلك حتى من قبل عملية طوفان الأقصى، فقد عملت المقاومة على عدم الدخول فى معركة جانبية وكلها أمور تبين أن يحيى السنوار شخصية محنكة سياسيًا.

جلست فى الأهرام مع قادة المقاومة فى أوج الجفاء الذى حدث بين مصر والقطاع وطالبوا بفتح صفحة جديدة، وكانوا يقولون نحن نريد ونريد ونريد مصر لكنهم تفهموا الموقف المصرى فى حربه ضد الإرهاب وجرت فى النهر مياه كثيرة.

●وماذا عن مفاوضات وقف إطلاق النار؟

– يكفى المفاوضات السياسية الجارية الآن الندية التى تتعامل بها المقاومة وأنها لم ترفع الراية البيضاء، والمطالبة بتحسين الشروط، واستفادوا فى ذلك من الخبرات المصرية فى التفاوض، وعادة ما تستخدم فى المفاوضات بعض الحروب النفسية مثل الشرائط المفرج عنها للأسرى وغيرها من الأمور فى ظل المتاح تستحق المقاومة تعظيم سلام.

●هل تتأثر المقاومة إذا نجحت إسرائيل فى اغتيال قادة المقاومة مثل السنوار ومحمد الضيف؟

– التاريخ يجيب على ذلك، اغتالت إسرائيل كثيرا من قادة المقاومة، لكنها كما ترى ما زالت مستمرة، ودعنى أخبرك أن يحيى السنوار يستفيد من سابقيه وهو يُعرف هناك باسم الأول من بين أقرانه لأنه يضع خطة يكتب فيها أنه بعد موته يتولى فلان مكاني، وكيف يجرى الانتقام من إسرائيل وماذا يطلبون، فالعادى هو أن يُستَشهد، ومحمد الضيف ينطبق عليه الكلام ذاته الأول بين أقرانه فهناك من بعده من يحمل الراية.

●كيف أثرت هذه الحرب على صورة الجيش داخل المجتمع الإسرائيلي؟

– يعانى الجيش الإسرائيلى من حالة إرهاق؛ لأنهم لم يتوقعوا حدوث ما جرى، أولياء الأمور يصرخون بسبب طول الحرب، ويضغطون لأن أولادهم يمكثون فى غزة لأشهر، والمفارقة أن الضغط ليس من أجل عودة الأسرى ولكن لعودة أبنائهم من الحرب، الجيش كان بالنسبة لهم البقرة المقدسة، لكن أصبحت تهان قيادته من قبل القيادة السياسية، هناك انتقاد واسع لما يجرى فى الحرب، وهناك تجاوز للرقابة العسكرية عبر قنوات التيلجرام، فأصبح الأهالى يعرفون أبناءهم القتلى عبر آليات مختلفة من الجيش وحين يأتى إليهم اتصال لزيارتهم يخبرونه أنهم عرفوا سبب القدوم، صورة الجيش اهتزت بشكل كبير.

●الدولة التى أفرجت عن مئات الأسرى الفلسطينيين فى صفقة مقابل جلعاد شاليط لم تعد تأبه لأسراها وجنودها الآن ما سبب ذلك التغيير؟

– ضحت إسرائيل بعقيدة أساسية كانت قائمة عليها كدولة، وهو التعهد بحماية الفرد، فلم يعد لديها مشكلة أن يموت جنرال أو مجند أو مدنى أو مسن، كانت تفخر بهذه الميزة على الدول المحيطة بها؛ لكن لا بد تلاحظ هنا أن هذا الفرد الذى كانت تهتم به إسرائيل هو الذى ينتمى إلى القبيلة الكبيرة الفرد الأبيض من الأشكناز، أما يهود الفلاشا وإسرائيليى ٤٨ لم يتمتعوا بالأهمية ذاتها. وبعد السابع من أكتوبر حتى اليهودى الصهيونى الأشكنازى لم يعد مهمًا، فإسرائيل روجت لأكاذيب وعند الاختبار سقطت أمام الجميع.

●سقطت صورة إسرائيل أمام شعوب العالم أجمع وظهرت على صورتها الحقيقية بعد طوفان الأقصى فهل حدث ذلك من قبل؟

– فى ظنى لأول مرة تسقط السردية الإسرائيلية فى العالم حتى فى حرب ١٩٧٣م لم تحدث هذه الصدمة العالمية وحالة المراجعات بشكل مزعزع لهذه الصورة، فالتصدع كبير للغاية وغير مسبوق حتى داخل الولايات المتحدة.

وماذا عن اليهود الأمريكان؟.

– هناك ترويج أن يهود أمريكا كلهم كتلة واحدة وهذا غير صحيح تمامًا، فجزء كبير منهم يرى ما تفعله إسرائيل حرب إبادة، وذلك حتى بعيدا عن حركة ناطورى كارتا الموجودة فى نيويورك، وهؤلاء لا يعترفون بإسرائيل من الأساس وتعتبرهم كفارا خارجين عن الملة يعترضون على مشيئة السماء، لكن أنا هنا أتحدث عن اليهود العاديين يرون أن الكيان قد بالغ فى رد فعله وأن الدولة الصهيونية ورطت نفسها، وحكومة نتنياهو مخطئة.

وهناك فئة من هؤلاء اليهود غير مبالية أصلًا بما يجرى فى العالم والشرق الأوسط وينظر إلى نفسه على أنه أمريكى تمامًا.

●لكن حركات الضغط الصهيونية قوية جدًا هناك؟

– هناك إعادة نظر تجاه اللوبى الصهيونى فى أمريكا، فيما بات يعرف بنظرية الذَنَب والكلب، وباتت تطرح تساؤلات فى الأوساط الأمريكية المختلفة كيف لهذه المجموعة الصغيرة أن تحرك الولايات المتحدة للتصرف بهذه الطريقة، وفى رأيى حركات الضغط تلك تعمل تحت الإرادة الأمريكية وتروج عن قصد أن منظمات الضغط مثل إيباك هى التى تضغط على الحكومة الأمريكية للسير فى اتجاه معين، فأمريكا تستخدمهم كمبرر لسياستها هي، فهم ليسوا مؤثرين بدليل أن بايدن نجح بدون أصواتهم.

إيباك وغيرها أداة فى يد الدولة العميقة فى أمريكا، فهناك دراسة فى جامعة هارفارد بهذا المعنى تتساءل حول قوة اللوبيات الصهيونية والجدوى من وجودها، وفى المقابل هناك جماعات ليكودية داخل أمريكا ذات طابع مسيحانى يريد عودة المسيح مرة أخرى.

●ماذا تعنى بالدولة العميقة فى أمريكا؟

– هناك دولة عميقة تحكم أمريكا تضع سيناريو السيء والأسوأ فماذا تختار؟ فهناك سيدة على سبيل المثال تسببت فى كوارث فى ليبيا والسفير فلان توفى بسببها. وهناك شخص متهرب من الضرائب فأيهما تختار؟.هناك شخص مسن وفاقد للتركيز؟ وفى المقابل هناك شخص ثبت أنه ارتكب أكثر من ثلاثين جريمة فأيهما تختار لرئاسة أمريكا.

دولة عميقة تعطى خيارات محدودة تحددها وفقًا لما تريد وتظهرها كأن الشعب هو الذى يختار. يصل من يصل إلى البيت الأبيض أو الكونجرس فهو لن يفعل أكثر مما تسمح به هذه الدولة وليس الأمر متعلقًا بإيباك أو غيره الذين هم مجرد أدوات فى يديها.

●مع ذلك تتمتع إسرائيل داخل أمريكا بحصانة كبيرة ولا يجوز انتقادها؟

– فى أمريكا يمكن انتقاد الرئيس ولكن لا تستطيع انتقاد إسرائيل بسبب خلط الأوراق بين

الاحتلال ومعاداة السامية، الكلام ذاته ضد اليهود وإسرائيل لماذا تكره اليهود وهذا غير صحيح فقد عاش اليهود لعقود طويلة فى البلدان العربية دون أن يتعرضوا لأى أذى

وهناك تقصير من الجماعات الداعمة لفلسطين فى توعية المجتمع الأمريكى بالقضية لكن الآن الأولاد على منصات مثل تيك توك وفى الجامعات بدأوا يقومون بهذا الدور ويرفضون السردية الإسرائيلية ويشككون فيها.

7 أكتوبر فتح النقاشات حول إمكانية استمرارية الكيان الصهيونى من الأساس ومن يحكمونه الآن مجموعة خارجين على القانون

بعد غلاف غزة سيأتى الدور على غلاف طولكرم وغلاف شبعا وهذا ليس كلاما خياليا

المصالح ستدفع أمريكا للتخلى عن الكيان الصهيونى ولن تستمر فى دعمه إلى مالا نهاية وحركات الضغط الصهيونية تعمل وفق مخطط الدولة العميقة فى أمريكا

حان الوقت لدخول المقاومة اللبنانية للمعركة بكل ثقلها لتحسين شروط التفاوض لها ولحماس

حوار أجراه: د. عبدالكريم الحجراوي

المشهد
العدد 335 -السنة الثالثة عشر- الخميس 27 يونيو 2024 م - 21 ذو الحجة 1445 هـ

قالت العرب

وكأني أيتها الملكة من بطنك كالعصفور خرجت
هل عندك شك أنك جزء من ذاتي
وبأني من عينيك سرقت النار
وقمت بأخطر ثوراتي
أيتها الوردة والياقوتة والريحانة والسلطانة والشعبية والشرعية بين جميع الملكات
(نزار قباني)

أحمد فؤاد أنور: العد التنازلى للصبر المصرى تجاه إسرائيل بدأ فى النفاد

أغلبية الإسرائيليين يتوجسون خيفة من مصر ويسألون عن سبب تدعيم الجيش المصرى وحفر أنفاق تحت قناة السويس

إسرائيل فى عملية مراجعة وجودية حول طبيعة الدولة ونتنياهو يراهن على الزمن فى التخفيف من وطأة محاسبته

مصر فى حالة استنفار وتهيئة للرأى العام بأن كل السيناريوهات مفتوحة

سياسة الغطرسة التى تتبعها إسرائيل وتجاهل الأيدى الممدودة بالسلام تعجل باندلاع معركة الثامن أكتوبر

صيحة الندم واضحة لدى اليهود المصريين الذين هاجروا إلى الكيان بعد أن اكتشفوا عنصريته وغياب الديمقراطية وكذبة حياة الرفاهية التى وعدوا بها

عملية رابين 2 ورادة باغتيالات سياسية داخل الكيان لنتنياهو أو المعارضين له

حرب أهلية فى إسرائيل سيناريو محتمل فى قادم الأيام وهناك احتقان غير عادى وتصدعات متزايدة وغير مسبوقة

اتهام الكيان لمصر بإفشال المفاوضات أضعه فى خانة الإفلاس بهدف الضغط على مصر لتضغط على المقاومة وهى لن تفعل

تقييمات البعض للموقف المصرى قائمة على الهوى.. فلو دخلت مصر وحررت القدس لقالوا لماذا لم تحرر إسطنبول وواشنطن

● ما موقف الداخل الإسرائيلى من هذه الحرب، والسيناريوهات المحتملة لإنهائها والدور المصرى فى وقف العدوان على غزة، وصورة مصر فى الأدب العبري، وكيف يعيش اليهود المصريون الذين هاجروا إلى الكيان، وما هو موقفهم من الحرب الدائرة.

من واقع خبرتك لعقود فى متابعة الشأن الإسرائيلى ما السيناريوهات التى ستؤول إليها الحرب الدائرة الآن؟

– فى السيناريو الأول: أرى أن كل ما حدث هو تمهيد لمعركة كبرى وأن المعركة الأساسية لم تأت بعد، فإسرائيل تحاول كسر إرادة المقاومة والشعب الفلسطيني، والترويج لرواية محددة وكل ذلك فشلت فيه. فى الداخل الإسرائيلى هناك من يدعو لاستخدام المزيد من القوة ، لضرب المقاومة فى سوريا فى لبنان فى العراق فى اليمن وفى جميع الساحات ليستعيد الكيان هيبته؛ وفى رأيى هذا لهاث وركض وراء الوهم.

وهذا هو السيناريو الأقرب للحدوث ستحاول إسرائيل بذل المزيد من العدوان والدخول فى حروب مستمرة بغية تحويلها إلى حرب إقليمية لعلها تعيد لها الهيبة وترتيب الأوراق بما هو فى صالح كيانهم المأزوم.

أعتقد هناك سيناريو موازى أن تبدأ إسرائيل فى مراجعة نفسها وإحياء طريق أسلو لأنه يحقن دماء الإسرائيليين قبل الفلسطينيين، وفى ظل أسلو كان عدد قتلى الكيان أقل من ٧ أكتوبر وما تلاها من أحداث، وهذا السيناريو مستبعد فى ظني، فالثامن من أكتوبر قادم كما جاء يوم السادس من أكتوبر فى ١٩٧٣ والسابع من أكتوبر فى ٢٠٢٣ بسبب سياسة الغطرسة التى تتبعها إسرائيل وتجاهل الأيدى الممدودة بالسلام

● ما تبعات هذا المشهد إذا استمر الوضع على ما هو عليه على الداخل الإسرائيلي؟

– إسرائيل فى عملية مراجعة وجودية حول طبيعة الدولة، وإذا استمر هذا الشكل سيتحول إلى مشهد أقرب إلى حرب أهلية وهذا وارد جدًا؛ لأن البعض ينظر إلى الحكومة على أنها قتلت الأسرى مرتين، حين تركتهم فى الأسر وحين قصفتهم بالسلاح الثقيل، وهناك من يُخَوِّن عائلات الأسرى، ويجرى الرد على هؤلاء بالتخوين أيضًا، وذلك يجعل عملية رابين ٢ ورادة باغتيالات سياسية داخل الكيان لنتنياهو أو المعارضين له.

نرى مشاهد غير مسبوقة فى الكيان قد تدفع إلى إيجال عامير جديد (يهودى إسرائيلى من أصل يمني، عُرف بقتله لرئيس الوزراء الإسرائيلى إسحاق رابين). يقوم بمعاقبة الخائن الذى ضحى بالأسرى أو الخائن الذى يضحى بإسرائيل من أجل أفراد. فهناك احتقان غير عادى وتصدع متزايد داخل الكيان.

● ماذا ينتظر نتنياهو بإطالة أمد الحرب؟ هل ينتظر أن يصل ترامب إلى الحكم؟

– هو متخيل أن شعبه سوف ينسى الديكتاتورية التى صنعها بقمع القضاء، وفشله فى السابع من أكتوبر. يتخيل أن الناس سوف تنسى ذلك مع طول أمد الحرب مما يخفف المسؤولية عنه أثناء المحاكمة التى تنتظره، فلو حُوكم بعد ٧ أكتوبر كان من المحتمل أن يستحدثوا عقوبة الإعدام خصيصًا له؛ لكن الآن الناس دخلت فى تفاصيل كثيرة جدًا، مثل هل تأخر فى إخراج الرهائن؟ هل هو المسؤول أم وزير الدفاع؟ هل إيران فعلت كذا؟ علمًا بأن إيران أحيانًا تتدخل لتسحب الغطاء عن القضية الفلسطينية وتعطى شرعية لأفعال نتنياهو الذى يراهن على الزمن ليخفف من وطأة محاسبته وفى التقليل من غضب الناس نحوه.

● حدثنا عن الحالة المزاجية فى الشارع الإسرائيلي؟

– هناك شوارع وليس شارعا واحدا، الشارع الأول: الحريديم فى عالم منفصل ليس لهم علاقة بالأمر يرفضون التجنيد ويفضلون الموت والسجن على ذلك، وعلى استعداد لإسقاط الحكومة وإغلاق الشوارع إذا ما تم تجنيدهم.

وهناك شارع ثان.. يطالب بالمساواة والعدالة ودولة غير قائمة على الفصل العنصري، يصبح فيه فلسطينيو الداخل لهم الحقوق نفسها التى لليهود الأشكيناز، فرغم أنهم قبلوا الجنسية الإسرائيلية والتزموا بالقانون وجندوا فى الجيش ويعملون فى جهاز الشرطة وبعضهم تولى مناصب وزارية لتجميل الوجه القبيح للكيان لكنهم يعانون من العنصرية الشديدة.

وشارع ثالث يطالب بدولة يهودية ديمقراطية مع أنه لا يمكن الجمع بين دولة ديمقراطية ويهودية فى الوقت ذاته، فتجدهم يطالبون بإجراء انتخابات لا توجد فيها أغلبية من عرب ٤٨.

وشارع رابع يطالب بإسرائيل الكبرى التى لا يحددون حدودها ويطالبون بإعادة المستوطنات فى غزة ويسألون عن سبب تنازلهم عن سيناء ويدعون إلى إعادة المستوطنات بها أيضًا. ويطالبون بأجزاء من الأردن.

وشارع خامس يقول إن نفوذنا كان يمتد من المحيط إلى الخليج، فلماذا ضحى نتنياهو بهذه الرفاهية والتنسيق الأمنى والعلاقات الاقتصادية والتطبيع من أجل ١٪ فى غزة، أحرق كل هذه المنجزات، وأعاد القضية الفلسطينية إلى الواجهة بعد أن اختفت، ويرى هذا الفصيل أن الأولوية لإخراج المحتجزين الآن بصفقة أو بتنازلات أو بأى شيء.

● ماذا عن الأغلبية؟

– الآن الأغلبية فى الكيان ترفع شعار لا لنتنياهو، فهناك معسكر واضح ضد هذا المسار الذى يتبعه.

● وماذا سيناريوهات سقوطه؟

– كل السيناريوهات تؤدى إلى سقوط نتنياهو حتى وإن استمر لفترة، إما عن طريق الخيانات داخل حزب الليكود ومن داخل الائتلاف مع الحريديم، فالائتلاف متصدع، ويمكن من خلال الحكومة نفسها من الداخل. فإسرائيل ليس لها حكومة تكمل مدتها، فعادة ما تسقط أى حكومة فى المنتصف من مدتها لأسباب تافهة وأقل مما جرى فى السابع من أكتوبر، مثل أن أحد الوزراء سافر يوم السبت فى الطائرة فتسقط الحكومة، وآخر أدخل قصيدة لمحمود درويش إلى المناهج فتسقط الحكومة فالخيانات متكررة داخلهم.

● وما دور عرب ٤٨ الذين قبلوا الحصول على جنسية الاحتلال فى هذا الوضع السياسى المعقد داخل الكيان؟

– لو اتحد عرب ٤٨ أو فلسطينيو الداخل يمكن أن يحققوا خُمْس المقاعد فى الكنيست الإسرائيلي، فهم القوة الثانية أو الثالثة حزبيًا داخل إسرائيل، ويمكن أن يتخطوا الليكود نفسه، لكن المشكلة أنهم لا ينزلون الانتخابات فى قائمة واحدة، ولديهم انشقاقات داخلية، كما أن النظام يستخدم ألاعيبه لأخذ أصوات العرب ويعطيها لليكود المناهض لهم ليكمل عدد مقاعدهم فى الكنيسيت، ويتعمدون كذلك زرع الانشقاقات بين الكتلة العربية، فهناك الحركة الموجودة فى كفر قاسم باسم الحركة الإسلامية أسسها الشيخ نمر عبدالله درويش، إلى أن خرج واحد من الشمال فى الناصرة يدعى رائد صلاح وأسس الجناح الشمالي. وبعدها صنع الكيان انشقاقات داخل القائمة العربية المشتركة بعد أن أصبحت رسميًا القوة الحزبية الثالثة وكانت مؤثرة، عبر تخويف رؤساء البلديات ورشوتهم وتخويفهم أن هؤلاء بدو ويمكن أن ينتقلوا إلى حزب الليكود وغيرها من ألاعيب تقزم من دور عرب ٤٨.

● نرى فى هذه الحرب وجود عرب ودروز يخدمون فى جيش الاحتلال؟

– بعض الدروز يجندون بشكل إجبارى وإنما العرب البدو يدخلون الجيش الإسرائيلى برغبتهم عبر التطوع كقصاصى أثر، وهناك دروز وطنيون فى سوريا يرفعون صورة حافظ الأسد وضد الكيان.

● تنشر المقاومة الفلسطينية مقاطع فيديو لاستهداف عناصر الجيش الصهيونى وإيقاعه فى كمائن فماذا عن تأثير ذلك على الداخل الإسرائيلي؟

– لها تأثير خطير على الداخل الإسرائيلى لأنها مكتملة الأركان، يظهر فيها المقاوم والعناصر الإسرائيلية التى يجرى اصطيادها، فى حين المتحدث العسكرى الإسرائيلى يخرج فيديوهات لجنود يطلقون الرصاص على حوائط والحوائط لا يمكنها أن تبادلهم إطلاق النار! فأين الإنجاز، أو فيديو من طائرة ثم تخرج دخانه أو بقعة داكنة تتصاعد، مشاهد يمكن صنعها بالذكاء الاصطناعي.

هناك مطالب بعدم إذاعة فيديوهات المقاومة لأنها تؤذى مشاعر أهل القتلى، كما أن أغلبية الفيديوهات تمنع من قبل الرقابة العسكرية، وفى الفترة الأخيرة تقوم الرقابة العسكرية باشتراط موافقة الأهالى للنشر، وفى ظنى ذلك يحدث كتمهيد من الجيش الإسرائيلى للانسحاب من غزة ليخبرهم بكم الخسائر التى تبرر هذا الانسحاب.

● لو خيرت بين دولة واحدة أو اثنين فى فلسطين فماذا تختار؟

– الإجابة التى تتمتع بالخبث حل الدولة الواحدة لأن الحضارة والثقافة العربية الشرقية ستذيب الأقلية الصهيونية داخلها، لكن فى ظل المذابح والشرعية الدولية التى نرتكن إليها يصبح الحل العملى هو حل الدولتين بشرط وجود دولة قابلة للحياة تمتلك مقومات الدولة ببنك مركزى متواصلة الأطراف، وربما يكون حل الدولتين مرحلة فى النهاية لحل الدولة الواحدة وهذا ما تخشاه إسرائيل.

● كيف يمكن أن تتحقق هذه الدولة الفلسطينية؟

– فكرة دولة فلسطينية تحتاج إلى نقاش فاليافطة بشكل عام كان نتنياهو موافقًا عليها فى أكثر مناسبة؛ لكنه تراجع حتى عن هذا الكلام، فالسؤال هنا هل سيكون لها بنك مركزي؟ هل لها جيش؟ هل سيكون هناك طريق يربط بين الضفة وقطاع غزة عبر تبادل أراضي؟ فالكيان لا يريد تواصلا جغرافيا وصنع دولة قابلة للحياة فإذا كنت تريد تسميها دولة فلك ذلك سيمنحهم قرية أبوديس خارج القدس ويوسع من صلاحيات بلدية القدس وتصبح فلسطين دولة عاصمتها القدس فى أبوديس وفق المخطط الصهيوني، فالشيطان يكمن فى التفاصيل وبالطبع لن يفكك المجمعات الاستيطانية الكبيرة فى الضفة الغربية.

● حمل الكيان الصهيونى قيادات مصرية فى المخابرات السبب وراء فشل المفاوضات الرامية لوقف إطلاق النار فكيف ترى ذلك؟

– ذكر المسؤول المصرى واتهامه بإفشال المفاوضات أضعه فى خانة الإفلاس الإسرائيلى فبعد أن اتهمت قطر بإفشال المفاوضات فتنحت عن المفاوضات، ولم تبق إلا مصر التى دائمًا هى التى تنجح الصفقات ولديها أوراق الضغط على كل الأطراف وإدارة الأمر بحنكة.

ما قيل من الجانب الإسرائيلى حالة من الإفلاس بالضغط على مصر لتضغط على المقاومة، ومصر لن تفعل ذلك لأن دورها أقرب إلى الراعي، فإذا كان هناك ضامن لإسرائيل أن تتوقف وتلتزم، فمصر هى ضامن لالتزام المقاومة بما جرى الاتفاق عليه. وحين أدركت إسرائيل أن هذا الضغط لا يجدى مع مصر ذهبت إلى أمريكا لتضغط من خلال أبواقها الإعلامية، ومصر قابلت التصعيد بتصعيد. ونجحت مصر حين جاء إعلان بايدن قريبًا من الصفقة المصرية ولتكتشف الفروق تحتاج إلى عدسة مكبرة فليس هناك فروق جوهرية. وواضح أنه كانت هناك رغبة من نتنياهو فى التملص مما وافق عليه الوفد الإسرائيلى المفاوض ورئيس الموساد وبلينكن كان شريكا فى هذه الورقة.

● كيف تقيم الدور المصرى فى هذه الأحداث؟

– سؤال منطقى ومطلوب، ودون تردد أقول لك إن مصر لديها خبرة السنوات، ودور أخلاقى بوصفها الشقيق الأكبر، ودور تاريخي، وهناك الأمن القومى المصري، ولا أرى هناك تعارضًا بين حماية الأمن القومى وأن أدافع عن القضية الفلسطينية، هناك تقييمات للموقف المصرى قائمة على الهوى، فلو دخلت مصر وحررت القدس لقيل لماذا لم تحرر إسطنبول وواشنطن، فهناك من يقومون بالمزايدات وهناك من يرفعون الشعارات ومصر بعيدة عن هذا وذاك.

● لكن الموقف المصرى يواجه انتقادات شديدة؟!

– قدمت مصر تضحيات كبيرة، فمن يقولون مصر مصر، عليهم أن يروا الصورة كاملة وحجم الضغوطات الكاملة التى تمارس عليها، وإذا اتجهت مصر إلى الحلول الخشنة وهذا غير مستبعد فمن سيقف معها. فالحديث عن الحلول الخشنة إذا انتهت الحلول الأخرى يجعل العيون تتطلع لمن سيقف معك ومن ضدك وهى حسابات معقدة والأفضل للجميع استنفاد الحلول الأخرى، عبر الوساطة والضغوط الإعلامية والضغوط الاقتصادية والقانونية والصراع الدبلوماسى بسحب السفير وطرد السفيرة وتقليل مستوى العلاقات، فمصر لاتستخدم أسلوب المزيدات كمن يطالب بإرسال أسطول الحرية ٢ الذى قتل فى البداية بعضهم وقبض على الآخر وظلت غزة محاصرة، فمشاهد الشو لا تفعلها، فمصر هدفها ليس دخول الإغاثة ولكن أن تصل الإغاثة إلى الناس فى غزة، فالأمور ليست بالبساطة التى يظنها البعض.

والملاحظ فى الموقف المصرى أنه آخذ فى التصاعد وفق الأحداث وفشل الطرق الدبلوماسية، ويعلن عن هذا التصعيد مثل خبر محكمة العدل الدولية، أو الأخبار التى تصدر بصيغة صرح مصدر مسؤول، وأيضًا خطابات الرئيس أن هناك خط أحمر فى مسألة التهجير ولا يوجد شيء بعد الخط الأحمر فهناك استعداد واستنفار وتهيئة للرأى العام بأن كل السيناريوهات مفتوحة.

● البعض يرى أن إسرائيل لا تعبأ بالموقف المصري؟

– هناك اجتزاء للصورة بأن إسرائيل لا تعبأ ولا تكترث، فإسرائيل أعلنت أنه لن يدخل وقود أو غذاء لكنه دخل فى النهاية بإرادة مصرية، وقالت نحن صامدون حتى الإغاثة وصنعت اعتصاما لدخول الإغاثة وأتت بأنطونيو جوتيرش الأمين العام للأمم المتحدة على الحدود وصنعت ضغوطا كبيرة حتى أصبح يدخل إلى القطاع شاحنات مماثلة لما كان يدخل قبل السابع من أكتوبر ٥٠٠ شاحنة يوميًا، كما أن اللاءات المصرية والفيتو المصرى كبح القوات الإسرائيلية كثيرًا، وجرى تقديم ترضيات وتطمينات لمصر وتنسيق وإبلاغات لمصر مسبقة، ومع هذا الجانب المصرى غير راض عن التصرفات الإسرائيلية وترى أنها قد تجاوزت الحدود، إلا أن الأمل ما زال موجودًا وهذا ما يصبِّر القاهرة؛ لأنه بالفعل جرى وقف إطلاق نار وتبادل أسرى، وهذا ليس وهمًا، فقد قال الكيان لا فى البداية ثم استجاب للضغوط التى تعرض لها وتراجع.

● ما نوعية هذه الضغوط؟

– هناك ضغوطات لا يمكن الإعلان عنها، فهناك ملفات معينة وتلويحات بأوراق بعينها، والعد التنازلى لنفاد الصبر المصري، فمصر ما زالت تحتفظ بأوراق الضغط الخاصة بها فلم يتم سحب أو طرد السفيرة ولم تعلق كامب ديفيد وهذا ما يقلق إسرائيل أكثر، فإذا ألغيت الاتفاقية هذا الأسبوع تتساءل ماذا ستفعل الأسبوع المقبل، فإسرائيل دخلت رفح بطريقة مختلفة وبذلك أسقطت من يديها ورقة الضغط على السكان من أجل نزوحهم إلى سيناء، فهذه الورقة سقطت من إسرائيل ولا يلتفت الناس إليها، مليون نسمة من المليون ومائتى ألف نسمة رحلوا إلى الاتجاه الصحيح الوسط، فكانت تلك ورقة ضغط كبيرة لدى إسرائيل، فكانت تقول أنا لن أدخل الفلسطينيين إلى سيناء لكن حماس هى من ستفعل، ويتبادلون الاتهامات على من دفع الناس إلى الحدود المصرية، الآن هذه الورقة سقطت.

الأمر الثانى واللطمة الإسرائيلية الكبرى أن ما تريده لم يتحقق منه شيئ على الأرض. كما أن هناك رفض مصرى قاطع لوجود إسرائيل على معبر رفح أو وجود تنسيق أمني، تطالب إسرائيل مصر برد الجميل لأنها سمحت بوجود قوات فى المنطقة ج لمواجهة الإرهاب، فترد مصر أنها لن توافق، فإسرائيل وافقت كتابة على دخول القوات المصرية لمنطقة ج وأن مصر كانت تواجه مرتزقة إرهابيين، بينما إسرائيل تواجه مقاومة على أرض محتلة.

تتخيل إسرائيل أن مصر يمكن توافق أو تراجع نفسها فى مسألة نقل السكان من غزة لسيناء وهذا هدف حرب إسرائيل على القطاع والرئيس عبدالفتاح السيسى أصابهم بالجنون لما طالبهم بنقلهم إلى النقب، وإنجاز للفلسطينى أن يعود للنقب بعد أن هُجِّر منها فى ٤٨ فهناك قريته وجذوره وهذا مهم وامتداد لغزة ولا يوجد عائق جغرافى يمنع ذلك، فهم فى أذهانهم سيناريوهات معينة وأن مصر هى من أدخلت السلاح وهذه أكاذيب.

هناك انفراجات تحدث على أرض الواقع وإجبار العدو على إدخال الإغاثة يثبت الفلسطينيين على الأرض، فهناك أفق للتفاوض ولم يغلق الباب وما زالت إسرائيل ترسل وفودا للمفاوضات الثلاثية فلو أن هناك صلف إسرائيلى فهو ينكسر فى النهاية.

● هل تعتقد إن إسرائيل تخطط للبقاء فى معبر رفح ومحور صلاح الدين؟

– لا أظن أن إسرائيل ستبقى فى محور صلاح الدين ومعبر رفح لأن هذا به استفزاز لمصر، وهو واحد من شروط المقاومة الرئيسية لا تفاوض دون الانسحاب من رفح

● كيف ينظر الصهاينة لمصر؟

– هناك ثلث متدين يرى أن مصر تريد تدمير إسرائيل وهى امتداد لفرعون الخروج ودائم التفكير بهذه الطريقة، وهناك مجموعة ترى مصر دولة عربية تستحق السحق وتنادى بالموت للعرب، وتصف العرب بالقذارة والجبن والخيانة ويقتلون من الظهر، وهناك مجموعة مع السلام وأن مصر جارة وهى أولى بأن يكون معها سلام من دول بعيدة عن إسرائيل وتدعو لأن يتحول السلام مع مصر لسلام دافئ.

● والأغلبية؟

– أغلبية الإسرائيليين يتوجسون من مصر خيفة ويسألون عن سبب تدعيم الجيش المصرى وصنع أنفاق تحت قناة السويس، وأسباب تعديل الاتفاقية ماذا تقصد برد الفعل هذا أو ذاك؟ لماذا تعتبرهم مصر أعداء؟ لكن مصر تتعامل معاملة طبيعية مع الكيان فدولة تقوم بمثل هذه الاعتداءات من الطبيعى أن تولد اتجاها للكراهية، ففى عهد السلام أرسلت إسرائيل جواسيس ومبيدات مسرطنة ودعمت داعش والإخوان فمصر تقوم بالمعاملة بالمثل.

● ما أسباب خروج اليهود من مصر؟

– ما تزال هناك طائفة مصرية يهودية فى الإسكندرية أغلبهم من كبار السن لا يتجاوز عددهم الثلاثين، فالعامل الاقتصادى أدى إلى تقليص عددهم فى مصر فى القرن الماضى خاصة مع الاتجاه إلى تمصير الوظائف وتقليل عدد الخبراء، وكذلك تأميم الممتلكات بالإضافة إلى توريط الموساد لبعض اليهود فى فضيحة لافون، لكن مصر لم تضع أحدا من اليهود فى لورى أو مراكب وطردتهم من مصر فهم بالتدريج من اختاروا الخروج، كان عددهم من ٦٠ : ٧٠ ألفا؛ لكن من كانوا يحملون الجنسية المصرية منهم أقل من النصف، لأن الجنسية المصرية كانت لها رسوم للحصول عليها فلم يتقدموا لنيلها، وبعضهم كانت له خطط للسفر إلى أوروبا للحصول على أى من جنسياتها، وبعضهم كان يحمل الجنسية البريطانية الفرنسية ليتمتع بحماية المحاكم المختلطة؛ لكنهم كانوا يتمتعون بالمواطنة الكاملة وكان منهم أعضاء فى مجمع اللغة العربية ومنهم فنانون، ولم يكن أحد يسألهم عن دياناتهم، فمصر لها تجربة فريدة فى جعل الجميع تحت مظلة واحدة فشمس مصر تمصر الجميع، وقدمت الحل للمسألة اليهودية فى إذابة اليهود فى نسيج المجتمعات التى يعيشون فيها.

● كم عدد اليهود المصريين الذين ذهبوا إلى إسرائيل وما موقفهم من الحرب؟

– فى حدود ٢٠ ألف مصرى يهودى ذهبوا إلى إسرائيل، وجزء منهم يزايد فى مواقفه ليبرر تأخر حضوره إلى فلسطين، ولهم مواقف متشددة، وهناك مجموعة ترفض العنصرية ضدهم كيهود شرقيين، ويسألون عن سبب تعامل الدولة معهم على أنهم درجة ثانية رغم أنهم قادمون من بلد التاريخ، ويرفضون أن يعاملوا معاملة اليهودى اليمنى والمغربي؛ لكنهم فى النهاية يعانون من العنصرية بوصفهم شرقيين، إلا أن منهم أبواقا إعلامية لامعة وبعضهم يعملون فى الفن.

● هل يشعرون بالحنين إلى مصر؟

– طبعًا يشعرون بالحنين إلى الجذور، وعبروا عن ذلك فى كتاباتهم منهم فيكتور نحمياس الصحفى اليهودى الذى كتب "الرجل الذى ولد مرتين"، وهناك شخص تورط فى فضيحة لافون وأتى إلى مصر فى طائرة مناحم بيجن وهو المدعو روبرت داساه الذى حكى قصته فى كتاب "العودة للقاهرة" وكان لديه تخوف من أن يلقى القبض عليه مرة أخرى، خاصة حين تعرف عليه ضابط مصرى وأخذه فى سيارته وأحاط به المخبرون يمنة ويسرة ما أصابه بالرعب، فهذه هى مشاعرهم لديهم حنين وفى الوقت نفسه خوف من المصير.

● هل ما زلت تربطهم ذكريات بمصر وهل يشعرون بالندم على مغادرتها؟

– كثير من اليهود الذين ذهبوا إلى الكيان يشعرون بالندم بسبب المعاملة العنصرية وعدم وجود حياة الرفاهية التى وعدوا بها. فصيحة الندم داخل اليهود المصريين موجودة ويتساءلون عن الذى فعلوه فى أنفسهم بالخروج بتأشيرة بدون عودة باختيارهم وتلقوا صدمة العيش فى الكيان العنصري.

وأغلب هؤلاء اليهود الآن فوق الثمانين ولديهم حنين لمصر، فإحدى اليهوديات كانت تتحدث عن أنها كانت تسكن فى ميدان التحرير، وأثناء سفرها باعت "زهرية ورد" بخمسة جنيهات وهى تستحق ٦ جنيهات ونصف، هذه هى طريقتهم، عبر حكى الذكريات، والمحافظة على اللهجة والنكتة المصرية، وبعضهم يأتى إلى دمنهور من أجل مولد أبوحصيرة، المولد رسميا ألغى لكن الزيارة مسموح بها، لكن الذبح والمبيت وعمل طقوس لم يعد متاحًا.

● وكيف عبروا عن هذا الحنين لمصر فى الأدب وفى الأفلام؟

– ستجد هذا فى الفيلم الأشهر "زيارة الفرقة الموسيقية" ٢٠٠٧م، الذى يحكى عن زيارة فرقة عسكرية مصرية من الإسكندرية (فرقة متخيلة وليس لها وجود فى الواقع) إلى إسرائيل، يضم شخصية كلاسيكية كبيرة فى السن، غير قادر على ممارسة الحب أو متردد فى فعله مع الفتاة الإسرائيلية، وهناك الجيل المتمرد الذى تجاوز الحروب والمذابح الماضية.

وهناك رواية إسرائيلية لأديبة مهمة لديهم، قدمت فيها صورة الحنين إلى الماضى والعودة إلى مصر، تكشف فيها أن هناك جيل قادم وهو ما تعول عليه إسرائيل بعيدًا عن الجيل القديم المصر على العداء. وفى هذه الرواية انحازت المؤلفة أورليكاستن بلوم لمصر وبأن المكان والمعاملة المصرية كانت أفضل من معاملتهم فى إسرائيل. وتكشف أن اليهود الذين ذهبوا إلى إسرائيل ندموا على ما فعلوا ويتمنون العودة إلى مصر وحاولوا ذلك لكن جيش الاحتلال منعهم، ففى الأحداث هناك مهندس جسور أراد الوصول إلى الحدود المصرية لكن أوقفه جيش الاحتلال وطالبه بهدم هذه الجسور، وفى مرة دخل المهندس الحدود المصرية وقال أنه دخلها لأنه تائه ولم يكن تائهًا، واختار البلكونة أكبر من الشقة ميزتها أن تنظر إلى البحر وتعطى ظهرها إلى إسرائيل لتشير لأمله فى الخروج من هذا الكيان، ففى هذه الرواية أكثر من رمزية تدل على الحنين لمصر. مثل حقيبة الجد المعدة دائمًا للعودة تختفى وتحضر، فالعمل مملوء بكثير من الرموز التى تبين عنصرية إسرائيل والأجواء السيئة بها وغياب التعاون والديمقراطية.

● أصبح هناك جيل ثان من هؤلاء المهاجرين منهم رئيس الكيان الحالي، الذى كانت أمه تحمل الجنسية المصرية؟

– صحيح، إسحاق هرتسوج وكان من المفترض أن يكون يعول عليه بأن يكون الشخص العاقل والناضج فى إسرائيل، وكنتُ أتوقع إذا حدثت أزمة ما فى الكيان مثل الجارية الآن أن يتم توسعة صلاحياته لأن نتنياهو مرفوض عربيًا ومنبوذ عالميًا وأصبح كارت محروق، لكن مشكلة إسحاق أنه بعد أحداث ٧ أكتوبر بدأ يأخذ مواقف متشنجة بعض الشيء، رغم كونه كان يساريًا معتدلًا وزعيمًا لحزب العمل المعارض، فبدأ يُوقِّع على دانات المدافع ويدلى بتصريحات مخيبة للآمال بأنه لا يوجد أبرياء فى غزة، فيما مضى كان هو أفضل الخيارات السيئة، وكان قريبًا من أن يأتى فى حكومة واحدة مع نتنياهو فى ٢٠١٦ بصفته زعيم حزب العمل غير أن نتنياهو تحالف مع ليبرمان زعيم الحزب اليمينى المتشدد، وبعدها ذهب أقصى اليمين المتشدد مع بن غفير وأقرانه، مما قاد إسرائيل إلى ورطتها الآن.

● هل فرق جوهرى بين اليسار واليمين فى إسرائيل؟

– كلهم يريد أن يحققوا مصالح الصهيونية فى النهاية، فيائير لابيد صهيونى يسارى يريد أن يحقق مصالح إسرائيل ولكن بطريقة مغايرة للشكل الفج الذى يقوم به نتنياهو الذى يؤدى بأفعاله إلى نتائج عكسية، يقول يائير بأنه يريد السلام مع الدول العربية هدفه من ذلك سلام إسرائيل وليس محبة فى السلام.

● بعد اتفاقية كامب ديفيد ذهب بعض المصريين إلى إسرائيل فما موقعهم الآن؟

– بالفعل ذهب بعض المصريين الذين لا يزيد عددهم عن خمسة آلاف مصرى إلى الكيان ظنًا منهم أن هناك سلام دائم وشامل؛ لكن ذلك توقف تمامًا. وجرى طى هذه الصفحة، فمن اعتقدوا أن العلاقات مع الكيان ستكون مثل علاقة مصر بالبرتغال أو إيطاليا اتضح لهم أنهم شعبيًا وأمنيًا منبوذون ووجدوا أن الرفاهية الاقتصادية الموعودة فى إسرائيل غير حقيقية.

● أخيرًا ... لو خيرت بين ٧ أكتوبر وطوفان الأقصى بعد المعطيات التى تشاهدها الآن هل مع حدوثها أم لا؟

– سؤال كالجمرة، فالتضحيات التى قُدمت كبيرة للغاية، لكن فى المقابل هذه التضحيات كانت تقدم مجانًا فى القدس والضفة الغربية من هدم لبيوت بالعشرات ومئات يسجنون وإبعاد من القدس وقتل يومى من الرضيع للمسن.

حين أقيم من خلال رؤية شاملة أقول إن الظهر كان إلى الحائط ومن غير الطبيعى ألا تقاوم، وترك الفرص تهدر، وكان من الواضح أن القضية الفلسطينية قد تجاوزها الزمن وهناك توجهات نحو تطبيع كامل مع ترضيات مالية للسلطة الفلسطينية وتُغَيَّب القضية للأبد.

وفى ظل صمود المقاومة لتسعة أشهر أرى أن هذا القرار لم يكن من أخذه مهرب، ولم يكن لديهم رفاهية الانتظار للحصول على أوراق ضغط أفضل بأن أمريكا سيهديها الله أو الاحتلال يحمل عصاه ويرحل طواعية، فالمقاومة كانت هى الحل الأمثل.

حوار أجراه: د. عبدالكريم الحجراوي

قالت العرب

وليسَ بحاكمٍ مَنْ لا يُبالي،
أأخطأ في الحكومةِ أمْ أصابا
وإن لكلّ تلخيص لوجها،
وإنّ لكلّ مسألةٍ جوابا
وإنّ لكلّ حادثةٍ لوقتا؛
وإنّ لكلّ ذي عَمَلٍ حِسَابَا
(أبو العتاهية)

المشهد
العدد 335 -السنة الثالثة عشر- الخميس 27 يونيو 2024 م - 21 ذو الحجة 1445 هـ

الخبير الاقتصادى د. عبدالنبى عبد المطلب فى حوار جرئ لـ « المشهد »:

عدم قناعة الحكومة بأن لدينا أزمة اقتصادية أحد أسباب تفاقمها!

تشهد الساحة المصرية جدلاً واسعاً في ظل الظروف الاقتصادية الراهنة حول مدى نجاح أو فشل الحكومة الجديدة في التعامل مع هذه التحديات، في حين أن الحكومة تؤكد على اتخاذها سياسات وإجراءات لتحقيق معدلات نمو مرتفعة، مما يشكك المواطنين في مدى فاعلية هذه السياسات على أرض الواقع.

وفي هذا الحوار، نستعرض وجهة نظر حول مدى نجاح أو فشل الحكومة في إدارة الأزمة الاقتصادية الراهنة من خلال بعض تساؤلات، وسنحاول الوقوف على أبرز الأسباب التي تقف وراء عدم قناعة الحكومة بوجود أزمة اقتصادية، رغم الواقع المعيشي الصعب الذي يعانيه المواطنون.

"المشهد" التقت بالدكتور عبدالنبي عبد المطلب الخبير الاقتصادي، والمستشار بوزارة التجارة والصناعة، وصاحب خبرة واسعة في المجال الاقتصادي، حيث عمل سابقا كباحث اقتصادي في الإدارة العامة للتبادل التجاري والاستثمار، كما قدم أبحاثا مهمة، من ضمنها اتفاقيات القروض التي أبرمتها مصر وتأثيرها على الاقتصاد المصري. وهذا نص الحوار:

على الحكومة أن تعلن بشفافية اتفاقها مع صندوق النقد وتطالب الشعب بمساعدتها فى تنفيذ التعهدات

مواهب أبناء الفقراء خَسرتها الدولة بسبب ارتفاع تكاليف التعليم وتدني الأحوال الاقتصادية

لا توجد قوى سياسية حقيقية فى الشارع المصري ولا يمكن لرجل الشارع أن يميز بين برامج الأحزاب

● ما هى أبرز التحديات الاقتصادية التى تواجه الحكومة فى الوقت الراهن؟

– إذا كنا نتحدث عن أبرز التحديات التى تنتظر الحكومة الجديدة، فهناك عدة ملفات أولهما الملف الذى يغفل عنه الكثيرون وهو التعليم، ونلاحظ الآن أنه لم يعد ميسرا لغالبية المصريين، بعد إنشاء جامعات أهلية وأقسام بمصروفات مرتفعة، وحتى تكاليف التعليم الحكومى أصبحت فى ظل هذه الظروف غير متاحة وغير ميسرة، ومن هنا نلاحظ أن مصر تخسر كثيرا بمجال التعليم، حيث أن أبناء الطبقة الفقيرة يوجد منهم من يتمتعون بمواهب حقيقية أو قدرات تؤهلهم أن يكونوا علماء فى المستقبل، ولكن لا تتاح لهم الفرصة نتيجة الفقر أو تدنى المستوى الاقتصادي. إما بسبب الديون الخارجية وهى أحد أهم الأزمات التى تعانى منها الدولة المصرية وأيضا الدين الداخلى الذى لا يقل خطورة عن الدين الخارجي، أو بسبب إمكانيات التشغيل، حيث أن الحكومة ليس لديها خطة على مدار ١٠ سنين او موازنة للتعيين او للتشغيل، باستثناء فئات قليلة وفئة الدرجة العليا، وفى اعتقادى أن الحكومة عليها تحمل المسؤولية فى ذلك البعد، لأن احتمال أن يكون هناك عمل داخل الحكومة، سوف يساعد على تقوية الأمل عند الطبقات الفقيرة، من خلال أنها تستطيع أن تحسن ظروفها الحياتية من خلال التعليم، لأن الطبقات الفقيرة كانت تعمل وتجتهد من أجل أن تعلم اولادها، وبالتالى قد يحصل أحد منهم على فرصة عمل مناسبة تنتشلهم من الجهل والفقر، وثالثهما وهو الأهم ، ملف التجارة والصناعة، عن طريق زيادة الإنتاج حيث هو أحد العوامل الرئيسية من أجل تحقيق معدلات نمو، يكون قادرا على المنافسة فى الأسواق العالمية، لانه يؤدى الى زيادة الصادرات أو الواردات، وهو أحد أهم الملفات التى يجب ان يكون لدى الحكومة الجديدة رؤية واضحة به، من خلال كيف سيتم جذب الاستثمار الأجنبى المباشر والنظر بعين الدراسة والفحص للاستثمار الاجنبى فى أدوات الدين أو ما يسمى بالاموال الساخنة، وآخر الملفات التى يجب النظر اليه بشكل كامل ومتكامل وهو التعاون بين صانعى السياسات النقدية، حيث أن الكثير لا يعلم أن صنع السياسات النقدية ليس له علاقه بالحكومة، وبالتالى لابد أن يكون هناك تعاون كامل ما بين البنك المركزى وبين الحكومة للحفاظ على استقرار سعر الصرف، واستهداف التضخم وأن يكون هناك سعر فائدة قادر على تشجيع الاستثمار أو تقليل تكاليف الإنتاج بشكل عام، وكذلك مسألة البطالة وإتاحة فرص عمل للشباب وملف التعليم والصحة لا يقل أهمية عن الشق الذى تحدثنا به، ووجود نائب لرئيس الوزراء هو وزير الصحة، أرى أنه ربما سيصب فى تلك النقطة أيضا، والجزء الأخير هو ترشيد الدعم لأنه نقطة فى منتهى الأهمية، بل وإقناع المصريين بإمكانية التحول إلى الدعم النقدي، فهو أحد التحديات المهمة أمام الحكومة فى الفترة القادمة.

● حدثنا عن أهم السياسات والإصلاحات الاقتصادية التى اتخذتها الحكومة لمواجهة هذه التحديات؟

– من الصعب تقييم القرارات التى اتخذتها الحكومة الجديدة قبل وضعها موضع التنفيذ، لكن يمكن أن نستشف منها مدى رغبة الحكومة فى تنفيذ سياسات ناجحة تؤدى إلى تنمية اقتصادية حقيقية، ولأننى أؤمن أن مشكلة الاقتصاد المصرى هى تراجع معدلات النمو، وانخفاض عرض السلع المصرية وزيادة الاعتماد على السلع المستوردة، وارى أن تصريحات الحكومة عن رغبتها فى تنفيذ خطة للتنمية الصناعية وجذب الاستثمار المباشر فى مجال الصناعات بشكل عام وفى مجال الصناعات التحويلية بشكل خاص، يعد من أهم التصريحات التى أعلنتها الحكومة الجديدة حتى الآن، حيث تم الإعلان عن إعداد خطة تنموية صناعية مرنة تضمن سهولة تخصيص الأراضى، وتيسير الإجراءات والارتقاء بالخدمات المقدمة للقطاع الصناعي، ايضا تقديم الخدمات إلكترونياً للمستثمرين، بما يساهم فى التنمية الصناعية، ودعم المصنعين، وتلبية متطلباتهم فى جميع المراحل التى يمر بها المصنع من التأسيس وحتى الانتاج والتصدير، وهذه بداية مشجعة، وكذلك الإعلان عن إعطاء فرص للقيادات الشابة وتوجيه الشكر لكل من تجاوز السن المقرر للمعاش هو أمر يستحق الثناء، وفى اعتقادى أن الإعلان عن طرح ملف الدعم للحوار المجتمعى أمر هام.

● ما توقعاتك لأداء الحكومة فى المرحلة المقبلة؟

– أعتقد أنه سيكون هناك نوع من تلافى المشاكل السابقة، حيث كان تجديد الوزراء بنسبة عالية، والمشاكل التى كانت تتواجد من قبل يمكن أن تحل، والبيروقراطية ستمثل تحديا فى منتهى الخطورة، ولكن فى اعتقادى ليست موجودة فى معناها المفهوم داخل الوزارات حاليا، لان كان هناك تقليص الدرجات العليا فى ٢٠٢١ فى أغلب الوزارات، بمعنى تم تقليل اعداد الدرجات الممتازة على مستوى الحكومة، ومنذ مدة كان هناك حوالى ١٠ آلاف درجة وظيفية منهم، وحالياً هناك على الأقل ٥٠٠ درجة مشغولة، وألفى درجة غير ممولة، ولذلك البيروقراطية تكون قاسية فى حدود ٥٠٠ الى ٦٠٠ شخص، ولكن هناك مشكلة مهمة وهى فك الاشتباكات، حيث أن الحكومة الجديدة دمجت وفصلت وزارات، وارى إن لم يتدخل الرئيس شخصيا من أجل فض الاشتباكات التى قد تنشأ ما بين الوزارات أعتقد أن المسألة ستعوق بشكل كبير عمل الحكومة لمدة عامين على الأقل، وسيكون تدخل الرئيس لإيجاد مرونة فى الموازنات لضمان عدم حدوث الصراعات، لأنها تشكلت بعد دخول الموازنة العامة حيز التنفيذ، وكل ديوان حصل على الموارد المخصصة له، ولذلك فإن استرجاع الموارد الخاصة بقطاع تم فصله ودمجه فى وزارة أخرى، لن تنجح إلا بتدخل الرئيس عبدالفتاح السيسي.

● وكيف ترى النتائج المتوقعة للإصلاحات الاقتصادية والتنموية التى تنفذها؟

– ذلك سيكون مرهونا بالإجراءات التى سيتم اتخاذها، وأرى أن المحدد الرئيسى لها شكل التعامل مع صندوق النقد الدولي، قبل إقرار المراجعة الثالثة سيكون صعبا أن نحكم على مستقبل التنمية والنمو الاقتصادى للحكومة الجديدة.

● ما الأسباب التى تراها لعدم قناعة الحكومة بوجود أزمة اقتصادية؟

– أحد أهم المشاكل التى تتسبب فى زيادة الأزمة الاقتصادية فى مصر، هو عدم قناعة الحكومة بأن لديها أزمة اقتصادية، بمعنى أن الحكومة ترى انها اخذت مجموعة من السياسات والتدابير الكثيرة لتحقيق معدلات النمو التى تزيد عن ٧٪، لكن هناك بعض المحددات الخارجية التى أثرت على تلك الإجراءات، ومنها أزمة كورونا التى أدت إلى اغلاق الحدود وتوقف سلاسل الإمداد وإحداث مشكلات عظمى، والسبب الآخر هو الأزمة الاقتصادية المالية العالمية التى أدت إلى خروج جزء كبير من الاستثمارات من مصر، وما نسميه بالأموال الساخنة، فى حين أن الدولة تطلق عليه بيع الاستثمارات، صحيح هى استثمارات فى أوراق مالية او الدين وهى قصيرة الأجل وغير مضمونة، ولكن الحكومة تنظر إليها على أنها تدفقات، والأزمة الاقتصادية العالمية التى أتت بعد كورونا هى التى أدت إلى خروج هذه الأموال، ومن هنا فإن الدولة ترى أن سياساتها كانت جيدة وتمكنت من جذب استثمارات تزيد عن ٤٥ مليار دولار فى شكل سندات خزانة ورفع الاحتياطى النقدى من العملات الأجنبية إلى مستويات ترتفع عن ٤٠ مليار دولار، وايضا الحصول على ودائع خارجية دولارية تتفاوت ما بين ٢٠- ٢٥ مليار دولار من الأشقاء العرب، فبالتالى ترى الدولة أن كل ذلك إنجازات ومن هنا عندما نتحدث عن أنها أزمة، فهى حدثت إثر محددات خارجية.

● ما هى أوجه القصور والفشل التى لا تزال تواجه الحكومة الجديدة؟ وما هى الانتقادات الموجهة إليها؟

– عقب الاستماع إلى بيان الحكومة الذى ألقاه رئيس الوزراء أمام مجلس النواب، أرى أنها ما زالت تسير على نفس المنهج رغم أن البيان يتكون من حوالى ٣٠٠ صفحة، ويمكن اعتباره خطة عمل مدروسة أو مكتوبة وتعهدات للحكومة، ولكن لم يكن هناك سياسات واضحة، بمعنى أن رئيس الوزراء لم يتفضل بالحديث عن الخطط المستقبلية وموعد بدايتها مثل الحديث عن استقرار الأسعار وحل أزمة الكهرباء، حيث أعتقد أن أزمة انقطاع الكهرباء لا يوجد بها مشكلة من الأساس حيث أنها تشبه مشكلة السكر بالضبط، لأن السكر كان فى سوق التوزيع أو احتكار الحكومة للسكر وعدم قدرتها على توزيع المنتج بشكل صحيح، وذلك نفس ما حدث بالكهرباء لأن الحكومة محتكرة الكهرباء وفى ذات الوقت تملك مشكلة فى إمدادات الغاز وذلك ما يتسبب فى منعها من حل أزمة الكهرباء.

● ما هى القضايا الاقتصادية التى ستكون محور النقاش والمنافسة فى الانتخابات البرلمانية المقبلة ؟

– لا أستطيع الإجابة بشكل كامل لأن هناك أطياف وايدلوجيات مختلفة، ومجموعة من الأحزاب لا أقدر على حصرها لأن كل حزب لديه رؤية واستراتيجية، ولكن أرى أن أغلب هؤلاء النواب عندما ينزلون إلى دوائرهم والتعامل مع المواطنين، سيرون أن مسألة الأسعار واستقرارها وتوفير مستوى من التعليم والصحة، بالإضافة إلى قضية البطالة وهى من أهم القضايا التى سوف تأخذ نقاشاً بناء على ردود القوى السياسية، مؤكداً أن القوى السياسية الحقيقية غير متواجدة بالشارع المصرى حالياً، واهتمام المواطن بالانتخابات البرلمانية أو بالأحزاب أو بالمشاركة والتفاعل مع القضايا السياسية منحصر فى الإعلان فقط ، فلا توجد تفاعلات ومشاركات حقيقية من المواطن أو الإهتمام بالشارع السياسى الحقيقي، وربما أن يكون هناك لبعض القوى السياسية آراء فى مناقشة مستقبل الاقتصاد المصرى ومستقبل الاتفاق مع صندوق النقد الدولي، من خلال أن يكون هناك حديث حول معدل النمو المطلوب، حيث نتحدث عن معدلات منخفضة ومستوى كبير من الديون والعجز بالموازنة، وربما أن يكون مناقشات مع الحكومة حول ذلك الموضوع، حول متى سيكون لدينا استقرار فى سعر الصرف، لأن عدم استقراره واستمرار انخفاض الجنيه المصرى وارتفاع الأسعار، يؤدى إلى عدم إرضاء المواطنين داخل الشارع المصري.

● كيف تتوقع أن تؤثر هذه القضايا الاقتصادية على نتائج الانتخابات البرلمانية المقبلة ؟

– جميعنا نعلم أن غالبية الأحزاب لا تمتلك برامج، وإن كانت تملك بعض الاستراتيجيات فهى غير منتشرة، بمعنى عند سؤال المواطنين عن الفرق بين البرنامج الذى كان يقدمه الحزب الوطنى الديمقراطى ومستقبل وطن ستجد أن غالبية المواطنين ليس لديهم فكرة عن تلك البرامج، فكيف سيكون هناك مناقشة للبرامج فى ظل عدم قدرة تلك الأحزاب فى الوصول إلى غالبية عظمى من المواطنين، ولكن أرى أنها ستكون مجرد نقاشات إعلامية واستهلاكية فقط ، ولذلك لا تؤثر من قريب أو من بعيد فى الانتخابات البرلمانية المقبلة.

● كيف ترى تغييرات المجموعة الأقتصادية فى تشكيل الحكومة الجديدة ؟

– لا نستطيع أن نقول إن هناك مجموعة اقتصادية بالمعنى المفهوم لكلمة المجموعة الاقتصادية، بمعنى إذا نتحدث عن المالية وهى من ضمن الوزارات الاقتصادية، ولكن لا نستطيع أن نقول إن تشكيل الحكومة الجديدة بها مجموعة اقتصادية إلا عدد قليل، حيث أرى أن كل وزارة تقوم بمهامها ولكنها فى ذات الوقت بعيدة عن خطة التنمية الاقتصادية بحيث يمكننا أن نقول بأن هذه مجموعة اقتصادية، وشهدت الحكومة المستجدة مجموعة من التغييرات الهيكلية من الممكن أن تخدم الاقتصاد المصرى، لأن وجود وزارة الاستثمار والتجارة الخارجية وفصلها عن وزارة الصناعة، وذلك كان مطلبا وافقت عليه جميع القوى الوطنية فى الحوار الوطني، وتم رفع أكثر من توصية بالإجماع فى ذلك المجال، متابعاً أن وزارة الاستثمار مهمة بشكل كبير لأنه منذ عام ٢٠١٥ فى المؤتمر الاقتصادى الذى تم عقده، كان الهدف الأساسى القائم عليه هو جذب الاستثمار الأجنبى المباشر، حيث يتضمن تكنولوجيا وزيادة إنتاج والعرض وتقليل التكاليف من خلال الدخول فى الإنتاج كبير الحجم، وأيضا ضخ تدفقات دولارية متواصلة بالاقتصاد عبر الاستثمار فى مصر، والمسألة الثانية هى إسناد إدارة الصناعة إلى كامل الوزير، حيث أرى أنه سوف يكون عاملا مهما جدا فى تذليل الكثير من الصعوبات التى تعانى منها الصناعة المصرية، لافتا أنها تعانى منذ عام ٢٠٢١ بسبب انقطاع سلاسل الإمداد وعدم قدرتها فى الحصول على الخامات ومستلزمات الإنتاج، حيث لم يكن هناك راعى قوى يستطيع أن يجبر بعض المؤسسات ذات الاستقلالية على تلبية مطالب الصناعة المصرية، مشيرا أن وجود الفريق كامل الوزير على الأقل سوف يساهم فى تحقيق الحكومة بعض الإنجازات أو القرارات التى لم تتمكن من تنفيذها خلال الفترات السابقة وفى مقدمتها وثيقة ملكية الدولة.

● هل تتوقع نجاح المجموعة الاقتصادية التى تقول أنها غير موجودة بمعنى المجموعة الاقتصادية المعروف فى مهمتها؟

– المهام الموجودة أمام المجموعة الاقتصادية هى فى منتهى القسوة، لأنه يجب أن تكون هناك رؤية واضحة ومحددة ومعلنة حول الموقف من البرنامج مع صندوق النقد الدولي، وأعتقد أن حل الحكومة كان بسبب تخوفات متخذ القرار من المراجعة الثالثة التى بدأت فى مايو سنة ٢٠٢٤، من أن تكون نتائجها غير مرضية للدولة المصرية، ومن هنا لجأ صاحب القرار إلى مسألة حل الحكومة واستغرقت المفاوضات شهر كاملاً، ثم طلب مهلة تتراوح من بين شهر إلى ثلاثة أشهر من أجل اختبار قدرة الحكومة الحالية على تنفيذ بعض التعهدات، وبذلك تكتسب مصر فترة زمنية تمكنها من إعادة هيكلة بعض الأمور لتنفيذ تعهداتها مع صندوق النقد الدولي، وأعتقد أن التحدى الأساسى والذى سوف يحكم على عمل الحكومة، يتلخص فى قدرتها على الوصول إلى اتفاق شفاف لا توجد به بنود خفية مع صندوق النقد الدولي، ولفت أن الاتفاق متواجد وتم إقراره من مجلس المديرين التنفيذيين، ولكن اطالب بنشره بشكل كامل بتفاصيله إلى العلن ، على أن تطالب الحكومة المواطنين بمساعدتها فى تنفيذ تلك التعهدات باعتبارها الطريق الوحيد للوصول إلى حل المشاكل الاقتصادية.

● ما هى الطرق المفضلة لجلب الاستثمار الأجنبى إلى مصر؟

– أن يسمح للقطاع الخاص المصرى بالعمل وتحقيق أرباح، وبمجرد حدوث ذلك سوف يأتى الاستثمار الأجنبى المباشر تلقائيا، وضرب مثالا على ذلك، قائلاً: عندما نأتى فى منطقة معينة وقمنا بافتتاح محل للطعام ولقى رواجا، سنرى بعد ذلك أن تلك المنطقة أصبحت مليئة بالكثير من المحلات الأخرى، وذلك يحدث فى كل مكان وذلك هو الطريق الأمثل لجذب الاستثمار الأجنبى المباشر.

● ما هى روشتة الاصلاح الشاملة للاقتصاد المصرى ؟

– من المفترض أنه كانت هناك حكومة قديمة والآن جديدة، ومن المؤكد أن أعضاءها حصلوا على مليارات الجنيهات أو على الاقل ملايين الجنيهات، وهؤلاء عليهم المسؤولية وكان أن يكون لديهم رؤية لتحقيق التنمية، وفى حالة عدم قدرتهم فإن الحل الامثل للإصلاح الشامل أن يكون هناك كفاءات تستطيع إدارة الاقتصاد المصرى.

حوار - إبراهيم خالد

قالت العرب

في بيتِه الحَكَمُ، الذي هو صادقٌ، فأتوا بيوتَ القومِ من أبوابها
وتخالُفُ الرّؤساءِ يشهدُ مُقْسماً إنّ المعاشرَ ما اهتدَتْ لصوابهَا
وإذا لصوصُ الأرضِ أعيَتْ والَياً، ألقى السّؤالَ بها على تُوّابهَا
(أبو العلاء المعري)

المشهد

العدد 335 -السنة الثالثة عشر- الخميس 27 يونيو 2024 م - 21 ذو الحجة 1445 هـ

النائب "مجاهد نصار" عضو لجنة الصناعة لـ"المشهد":

يجب الاعتراف بأخطاء السياسات الاقتصادية وحاجتنا إلى تغييرها جذريا

أكد النائب مجاهد نصار، عضو لجنة الصناعة بمجلس النواب عن حزبِ مستقبل وطن، ورئيس مجلس إدارة نصار جروب أن الشعب يعلق أمالا كبيرة على الحكومة القادمة فى تخطى العقبات الاقتصادية، والصناعة قادرة على جذب الاستثمارات، وتوجيهات الرئيس للحكومة الجديدة تؤكد مواصلة الإصلاح الاقتصادى ودعم المواطنين وضرورة تكثيف الجهود لتطوير الصناعة باعتبارها قاطرة أساسية للتقدم الاقتصادى الشامل فى ضوء انعكاس التقدم فى الصناعة على دعم وتطوير جميع القطاعات الأخرى.

وقال إن على الحكومة الجديدة عرض رؤية تشجع فيها الصناعة والاستثمار، لأن توطين الصناعة المحلية يقضى على البطالة ويدعم الاقتصاد، موضحا أن الانضمام لتجمع بريكس يعكس قوة الاقتصاد المصرى، ومطالبا بضرورة وضع خريطة صناعية فى كل محافظة على مستوى الجمهورية.

وأوضح نصار أن نجاح الحكومة فى جذب صفقة استثمار مباشر وهى "صفقة مشروع رأس الحكمة" يؤكد قرب حدوث انفراجة حقيقية، وهذه الصفقة الاستثمارية الكبرى تضخ مليارات الدولارات فى شرايين الاقتصاد الوطني.

كما كشف النائب عن تفاصيل حياته المهنية منذ الصغر وصولاً لدخوله مجال الصناعة.... وإلى نص الحوار:

وزير التموين السابق أصبح غير قادر على التحكم فى زمام الأمور فى الفترة الأخيرة بسبب إهمال المخزون الاستراتيجي

قطاع الصناعة على رأس أولويات الحكومة الجديدة لجذب الاستثمار وتوطين الصناعة المحلية يدعم الاقتصاد ويقضى على البطالة

صفقة "رأس الحكمة" نقلة نوعية لجذب السياحة.. ويمثل قوة اقتصادية ضخمة فى العالم

● فى البداية.. حدثنا عن أهم المحطات فى حياتك العملية وقصة نجاح مجاهد نصار؟

– بدأت مشروعى بالعمل فى ورشة أبى بعد وفاته عام ١٩٨٦ فى تصنيع سلك الرباط لحديد التسليح، وبدأ مشوار الكفاح بماكينة واحدة حتى شراء مصنع ٦٥٠ متراً، توالت الماكينات إلى أن أصبح أكبر مصنع فى الشرق الأوسط، وكان يغطى السوق المحلى حتى عام ٢٠٠٠، إلى أن تم تصدير أول كونتر إلى بلجيكا وكان قيمته ١٦ ألف دولار.

● كيف ترى التشكيل الوزارى الجديد.. وأهم المطالب من الحكومة الجديدة؟

– نرحب بالتشكيل الوزارى الجديد فالكل كان فى انتظاره وليس النواب فقط بل المواطنين أيضاً، وذلك للخروج من الأزمات المتراكمة، فالشعب يعلق أمالاً كبيرة على تلك الحكومة فى تخطى العقبات الاقتصادية والاقليمية الراهنة، كما أن بعض الأسماء الجديدة التى وجدت فى هذا التعديل جاءت وفقاً لتحقيق الرؤية السياسية فى انضمام الكفاءات لهذا التشكيل فى الحكومة الجديدة، وبعض الوزرات التى تم دمجها على أن يكون الاختيار الجديد لمن هو صاحب القرارات الجريئة والتى بإمكانه المساعدة فى حل الأزمات، ويكون بمثابة عين الحكومة فى الشارع لمتابعة متطلبات المواطنين واستكمال مسيرة التنمية المستدامة المنتظرة للجميع.

ولذلك نطالب الحكومة الجديدة باتخاذ اجراءات فعالة لحل مشاكل المواطن البسيط، والتركيز على أربعة ملفات هامة جداً وهى التعليم والصحة والزراعة والصناعة لتحقيق التنمية الشاملة فى جميع الملفات والقطاعات المختلفة، بداية بانهاء أزمة انقطاع الكهرباء، مع ضرورة الاهتمام بالصناعات خلال الفترة المقبلة وإنهاء الأزمات التى تؤرق الشعب خلال الفترة الحالية، وهناك أيضاً أولويات واضحة على جدول أعمال الحكومة وعليها أن تنتهج نهجاً أكثر فاعلية فى ترتيب الأولويات فى ظل هذا الاضطراب الإقليمى والعالمى جنباً إلى جنب نحو استكمال بناء الجمهورية الجديدة، ونتمنى أن يكون دمج الوزرارت فى تشكيل الحكومة الجديدة دافعا للتنمية.

كما أنه لا يمكن إلغاء ما قامت به حكومة الدكتور مدبولى السابقة من مجهودات كبيرة، فقد استطاعت أن تؤسس للإصلاح الاقتصادى وأن تنطلق نحو الجمهورية الجديدة بعمل بنية تحتية كبيرة وضخمة، لكن المشاكل والتحديات مازالت قائمة وعلى الحكومة الجديدة أن تعمل فى إطار التأكيد على استمرار الحوار الوطنى باعتباره حقا أصيلا فى المرحلة المقبلة مع ضرورة الاهتمام بحراك سياسى أكبر وعلى كافة الملفات، فالمرحلة المقبلة تحتاج لتحركات مغايرة وطرح ملفات سياسية واقتصادية مختلفة.

● ما تقييمك لدمج بعض الوزارت.. وإسناد وزارة الصناعة للفريق كامل الوزير؟

– إسناد وزارة الصناعة والنقل للفريق كامل الوزير لكى يكون صاحب قرار ويستطيع تحقيق انجازات فى ملف الصناعة، واختيار السفير بدر العاطى لمنصب وزارة الخارجية والهجرة أمر إيجابى أيضاً وفى محله حيث إنه كان سفير مصر فى ألمانيا وهو جاد جدا فى عمله، وذلك لحرص الدولة أن تكون الحكومة الجديدة من ذوى الكفاءات والخبرات والقدرات المتميزة من أجل مواجهة كل التحديات، وضرورة تكثيف الجهود الرامية لتطوير الصناعة المصرية، باعتبارها قاطرة أساسية للتقدم الاقتصادى الشامل، فى ضوء انعكاس التقدم فى الصناعة على دعم وتطوير جميع القطاعات الأخرى. متمنيا التوفيق للحكومة الجديدة فى مهامها وتحقيق انجازات جديدة وخاصة فى ظل التحديات الصعبة وضرورة الاهتمام بكافة الملفات والتركيز على ملفات الزراعة والصناعة من أجل تحسين الأوضاع الاقتصادية وتوفير حياة أفضل وتخفيف الأعباء الحالية عنهم، وننتظر أن تكون هناك نهضة كبيرة فى الصناعة والتنمية المجتمعية ونستغل كل الثروات المعدنية الموجودة.

● ماذا تطلب من وزير الإستثمار والتجارة الخارجية؟

– أطالب وزير الاستثمار والتجارة الخارجية بالتركيز على جذب وزيادة الاستثمارات المحلية وتشجيع نمو القطاع الخاص وبذل كل الجهد للحد من ارتفاع الأسعار والتضخم وضبط الأسواق، وذلك فى إطار تطوير شامل للأداء الاقتصادى للدولة فى جميع القطاعات والقضاء على جميع معوقات الاستثمار حتى يتم زيادة الدخل القومى للدولة وتوفير فرص عمل للشباب، وأن تضع الحكومة الجديدة على رأس أولويتها الحفاظ على محددات الأمن القومى المصرى فى ضوء التحديات الإقليمية والدولية خاصة فى ملف الصحة والتعليم وأيضاً الحفاظ على الوطن ومواجهة أى تحديات خارجية.

كما أن الحكومة السابقة واجهت تحديات ضخمة وخاصة فى ظل الظروف الصعبة التى واجهت الدولة منذ بداية فيروس كورونا والحرب الروسية الأوكرانية والحرب على غزة ، الأمر الذى خلق مشاكل كثيرة فى مختلف المجالات من بينها ارتفاع التضخم والأسعار عالمياً وانعكس ذلك على الدولة.

● وماذا عن أهم الجهود التى حققتها الدولة للنهوض بالصناعة المحلية ؟

– الدولة بذلت جهودا كبيرة لتوطين الصناعة المحلية والارتقاء بها وعلى سبيل المثال توطين صناعة النقل والسكة الحديدية بالشراكة مع القطاع الخاص والشركات الرائدة على مستوى العالم وتقديم التسهيلات والتيسيرات اللازمة لإنشاء المزيد من المصانع، الأمر الذى يساهم فى تحقيق الاكتفاء الذاتى محلياً وتوفير العملة الأجنبية، وهى الجهود التى وصلت إلى مراحل متقدمة فى إطار توفير مكونات وسائل النقل على المستوى الوطنى، ومصر فى طريقها لإعلان عدم استيراد عربات السكة الحديد من الخارج حيث يتم تصنيعها فى مصر بأياد مصرية وصناعة محلية وهذا يمثل نقلة هامة فى تاريخ الصناعة المصرية، وأن توطين الصناعة تحرك وطنى جاد يوفر العملة الأجنبية ويدعم التوسع فى التصنيع المحلي، كما أنها فرصة جيدة للقضاء على البطالة من خلال توفير فرص العمل التى تستوعب أكبر عدد من الشباب.

وللخروج من الأزمة الاقتصادية الحالية يجب الاعتماد على التصنيع المحلى، فهو القادر على سداد الديون وذلك من خلال توفير البيئة الاقتصادية والاستثمارية له وضرورة وضع ألية واضحة للمستثمرين من الدولة، مع إعداد قوانين جديدة للصناعة تتناسب مع الوقت الحالي، وأولى خطوات نجاح الاقتصاد فى مصر هو وجود فريق اقتصادى متعاون يرتقى وينهض بالاقتصاد والاستثمار.

● وماذا عن انضمام مصر لتجمع "بريكس" العالمى وتأثيره على الوضع الاقتصادى؟

– الانضمام لبريكس علامة فارقة لمصر واقتصادها فى المستقبل القريب، فضلاً عن النتائج والثمار الجيدة المتوقعة فى مجالات التجارة والطاقة والموارد والأعمال التجارية والتمويل وسلاسل التوريد والخدمات اللوجيستية والزراعة والأمن الغذائى والتسوية بالعملات المحلية، بالإضافة إلى أبحاث اللقاحات والصحة العامة وغيرها من مجالات التعاون داخل ٦٨ دولة أعضاء فى تحالف بريكس، كما أن الردود العالمية الداعمة لدعوة مصر لانضمام مصر لتجمع بريكس العالمى تؤكد قوة اقتصادنا الوطنى للتواجد والمشاركة فى هذا التحالف الدولى الكبير.

كما أن توسيع بريكس نقطة انطلاق جديدة لتعاون المجموعة مما يعكس تصميم دولها على الاتحاد والتعاون مع الدول النامية ويلبى طموحات المجتمع الدولى ويخدم المصالح المشتركة للأسواق الناشئة، ويمثل قوة اقتصادية ضخمة فى العالم بالاضافة إلى نظرة المجتمع الدولى إلى المشروعات العملاقة التى تنفذ فى مصر ومجالات الاستثمار الواسعة.

● وما هى أهم المشروعات والقوانين التى تمت مناقشتها بالبرلمان فى مجال القطاع الصناعى؟

– تمت مناقشة العديد من المشروعات والموضوعات التى تخص قطاع الصناعة وقطاع الأعمال العام وقطاع الثروة المعدنية والهيئة القومية لسلامة الغذاء، ومن أهمها مشروع قانون بشأن تقنين أوضاع المنشأت الصناعية المرخص لها وغير المرخص لها، ومشروع قانون بشأن إصدار الصناعة الموحد، ومشروع أخر بشأن إنشاء المجلس الأهلى لصناعة السيارات وتمويل صناعة السيارات صديقة البيئة، وقانون بشأن

الانضمام لتجمع بريكس يزيد الصادرات لدول المجموعة ويرفع مستوى التبادل التجارى

توطين الصناعة تحرك وطنى جاد يوفر العملة الأجنبية ويدعم التوسع فى التصنيع المحلى

إنشاء الهيئة العليا للغزل والنسيج، وموضوعات أخرى ذات الأهمية والتى تمس مجالات الصناعة منها وضع استراتيجية ثابتة للصناعة المحلية وتطوير شركات الغزل والنسيج التابعة لوزارة قطاع الأعمال وتطوير هيئة الثروة المعدنية وتحقيق الاستغلال الأمثل للثروة المعدنية وتطوير وتفعيل دور الهيئة العامة للتنمية الصناعية ودمج مصانع بير السلم فى الاقتصاد الرسمى وتشغيل المصانع المتوقفة والمتعثرة والمغلقة.

ومن أهم الاستجوابات فى الفترة الماضية استجواب وزير التموين ورئيس حماية المستهلك لأزمة السكر فى التموين وغيرها من الأزمات والمشاكل الأخرى التى كانت تمس حياة المواطنين، كما استجوبنا وزير التربية والتعليم فى المشاكل المتعلقة بالتابلت، ونحن نعيش مع المواطن مشاكله ثم ننقلها للهيئات والوزارات حتى نصل إلى حل والنائب دوره الأساسى أن يكون عين الشعب وعين المواطن.

● وماذا عن أهمية الصناعة وتأثيرها فى جذب الاستثمار؟

الصناعة هى القادرة على جذب الاستثمار، ولكن لابد أن يكون هناك أليات قابلة للتنفيذ، ولابد أن نعترف بأن هناك أخطاء فى سياسات اقتصادية فى الفترة السابقة كما أننا نحتاج إلى تغيير جذرى فى السياسة الاقتصادية والنقدية ولا بد أن يكون هناك خريطة وأجندة صناعية، وعدم توافر المواد الخام نتيجة أنه ليس هناك سياسات جيدة، وفى مصر فقط تصنيع المواد الخام أكثر تكلفة من الاستيراد وتصدير المواد الخام أغلى من التصدير بعد الإنتاج، مؤكداً أن الصناعة فى مصر تمثل ١٦٪ من الناتج القومى ويجب أن تصل إلى ٣٥٪.

● وماذا عن توجيهات الرئيس السيسى للحكومة بمواصلة جهود تمكين القطاع الخاص الصناعى وتذليل العقبات أمامه؟

الاجراءات التى اتخذتها الدولة فى السنوات الماضية أوضحت مدى الأهمية القصوى التى توليها الحكومة للقطاع ، كما أن توجيهات الرئيس السيسى للاهتمام بالقطاع الصناعى جاءت فى وقتها، وتتماشى مع نهضة اقتصادية وصناعية، تعيشها مصر ورغبة دائمة فى زيادة الصادرات للخارج إلى نحو ١٠٠ مليار دولار سنوياً.

ومن المهم العمل على مواصلة جهود تمكين القطاع الخاص الصناعي، وتذليل العقبات أمام ازدهار أنشطته وأعماله، لاسيما من خلال توفير البيئة الملائمة، وتقديم الحوافز والتيسيرات الداعمة للاستثمار الصناعي، بالإضافة إلى تعزيز العمل على ترسيخ ثقافة القيمة المضافة فى الصناعة المصرية، على النحو الذى يحقق أكبر استفادة ممكنة، سواء على مستوى تعميق التصنيع المحلى والتطور التكنولوجي، أومن ناحية تحقيق أعلى عائد لصالح الاقتصاد المصرى والمواطنين، كما إن الاهتمام بالقطاع الخاص الصناعى يعنى تعزيز فرص العمل والارتقاء بأوضاع ملايين العمال الموجودين فيه.

● وكيف ترى أداء منظومة التموين فى الفترة الأخيرة.. وأزمة ارتفاع الأسعار واحتكار وجشع التجار؟

– وضع وزارة التموين فى الأيام الأخيرة بات صعبًا، وكانت هناك مشكلة كبيرة فى منظومة الوزارة، وقد ذكرت وزير التموين السابق بشأن وجود مخزون استراتيجى يكفى ٦ أشهر، فى ظل ارتفاع سعر الدقيق من ١٣ إلى ١٩ جنيها، وأن "العملية كانت قد أفلتت من يد وزير التموين السابق وزادت المشاكل فى الوزارة، وأصبح غير قادر على التحكم فى زمام الأمور، رغم أن لديه خبرة ومخضرم ولكنه كان غير مهتم بالمخزون الإستراتيجي، ولا يمتلك القدرة على تحفيز الفلاحين من خلال زيادة أسعار القمح.

كما أن السبب الحقيقى وراء ارتفاع الأسعار هو جشع التجار واحتكارهم للسلع الأساسية وتخزينها، وبالرغم من وجود رقابة إلا أنها لا تسيطر على كل القطاعات وهذه الأزمة مفتعلة.

● هل توجد خريطة صناعية وما مدى أهميتها؟

– وجود خريطة صناعية فى كل محافظة على مستوى الجمهورية سيسهم فى تشغيل المصانع بكل طاقتها فى كل المحافظات، وتوفير العديد من فرص العمل وجلب العملة الصعبة إلى البلاد فى ظل احتياجنا الشديد إلى توفير العملة الأجنبية، فهناك عدد من الدول العربية والافريقية المجاورة لمصر تقوم بتحديد مدى احتياجاتها لإنشاء المصانع بالقرب من الخامات وتدرس وسيلة النقل المناسبة لتصدير المنتجات للخارج.

هناك ضرورة لوضع خريطة صناعية، وأن يتم إعلان هذه الخريطة داخلياً وخارجياً وتحديد مواقع الاستثمار بدون إخفاء لجذب الاستثمار الصناعى وحتى يتمكن المستثمر الكبير والصغير والخارجى أو الداخلى من معرفة اتجاهات الدولة للإنتاج بما يتناسب مع كل محافظة بما تشمله من زراعات أو خامات بيئية تدخل فى صناعات لمواد خام يضاف إليها قيمة مضافة وتدر دخلاً للبلاد وتكون جاذبة للمستثمر.

بالإضافة إلى أن مصر تمتلك مقومات اقتصادية عظيمة منها المقومات الطبيعية التى تجعل منها مصدرا من مصادر الدخل القومى وتوفير العملة الصعبة وتضمن فرص عمل أكبر مما يسهم فى إنعاش الحالة الاقتصادية، فضلاً عن أهمية دعم صغار المصنعين، لاسيما فيما يتعلق بتصنيع مكملات الإنتاج وهناك مايقرب من ١٥٠ منطقة صناعية، ولابد من وضع أولوية فى كل المناطق الصناعية لتخصيص مصانع لصغار المصنعين على حسب تخصص كل محافظة وضرورة التنسيق بين وزارة التجارة والصناعة وهيئة المجتمعات العمرانية للتعريف بالمناطق الصناعية بمدن الجيل الرابع لما لها من أهمية فى دعم التطور التكنولوجى لصالح الاقتصاد الوطنى.

● وهل الزيارت الخارجية للرئيس لها تأثير على الأوضاع الاقتصادية؟

– زيارات الرئيس الخارجية بالفعل لها تأثير قوى على الأوضاع السياسية والاقتصادية وتحقيق التبادل التجارى والصناعى والثقافى أيضاً، سواء على المستوى الداخلى والخارجى والأمن القومى والعلاقات الخارجية، وتعزيز العلاقات المصرية العربية وفى مقدمتها العلاقات الخليجية وغيرها، فزيارة الرئيس السيسى للامارات فى الفترة الماضية لها أهمية كبيرة من الناحية السياسية والاستراتيجية فى تعزيز العلاقات الثنائية على مختلف الأصعدة، خاصة فيما يتعلق بتنشيط التعاون الاقتصادى والاستثمارات المشتركة والتبادل التجارى فى العديد من المجالات التنموية.

ويحسب له أيضاً النقلة فى العلاقات المصرية اليابانية بما ساهم فى تحقيق طفرة فى الاستثمارات اليابانية ومضاعفتها خلال فترة قصيرة وتعزيز علاقات مصر مع مختلف القوى العالمية، وأيضاً أهمية مواصلة تعزيز العلاقات المصرية اليابانية فى مختلف المجالات والجهود المتواصلة طوال السنوات الماضية فى إحداث نقلة كبرى بالعلاقات بالبلدين وتعزيز التعاون فى مجال التعليم بالاستفادة من التجربة اليابانية فى هذا الصدد، وأن اهتمام مصر بالاستفادة من التجربة اليابانية مبعث فخر لأن اليابان حققت نقلة حضارية عالمية وسبقت فى مجال التعليم واستفادة مصر من ذلك ينعكس على مستوى الأجيال القادمة، علاوة على الرغبة فى تعزيز التعاون التجارى فى الطاقة والنقل والتكنولوجيا، بالإضافة إلى المتحف المصرى الكبير الذى يعد الأيقونة الكبرى للتعاون الحضارى والثقافى بين البلدين.

● ما أهم المعوقات التى تواجه منظومة الصناعة والاستثمار فى الوقت الحالي؟

– التحديات التى تواجه الصناعة والمصانع والاستثمار كثيرة جداً والمناخ الاستثمارى خانق ولا توجد خريطة صناعية محددة، وقد تحدثنا مرارا وتكرارا فى مجلس النواب وخاصة فى لجنة الصناعة أن عدم وجود الشباك الواحد يقف عائقاً أمام تسهيل الاجراءات بالنسبة للمستثمر، ومن مصلحة الدولة تشجيع المستثمر المصرى للاستثمار فى الدولة ولا يذهب للخارج وعلى الحكومة الجديدة أن تعرض رؤية وتشجع فيها الصناعة والاستثمار وذلك بوضع أليات للتنفيذ ويجب دراسة وتحديد الصناعات التى توفر لنا العملة الصعبة كما يجب منح إعفاءات وحوافز للصناعات التى توفر لنا جزءاً من وارداتنا والتى تكلفنا العملة الصعبة، ولا بد من توحيد الولايات فى الاستثمار لتحقيق التنمية المتمثلة فى (المحافظة وهيئة المجتمعات العمرانية والتنمية الصناعية) سوف تعطى دفعة قوية لعجلة الإنتاج فى الفترة القادمة لو تم الانتهاء منها وأيضاً استغلال الثروة المعدنية فى توفير المواد الخام سوف يحدث تطويرا فى الصناعات.

● وما هى أهم القرارت التى اتخذتها الحكومة لجذب الاستثمار؟

– قرارت الحكومة فى الفترة الأخيرة والتى كان فى مقدمتها صفقة مشروع رأس الحكمة والموافقة على جذب صفقة استثمارية مباشرة من خلال شراكة استثمارية مع كيانات كبرى مكسب اقتصادى كبير للدولة، لأنها تضخ سيولة كبيرة بالعملة الصعبة وتؤكد القدرة التامة على حل الأزمة الاقتصادية وتفكيكها وقرب حدوث انفراجة حقيقية وذلك فى ضوء جهود الدولة حاليا لجذب الاستثمار الأجنبى المباشر وزيادة موارد الدولة من النقد الأجنبي، وهى خطوة مهمة لدعم الاقتصاد المصرى لمواجهة التحديات الاقتصادية الداخلية والخارجية، ونجاح الحكومة فى جذب مثل هذه الصفقات الكبرى سيكون له أثر إيجابى فى مواجهة جميع التحديات الاقتصادية وهى بداية لعدة صفقات استثمارية تعمل الحكومة عليها لزيادة موارد الدولة من العملة الصعبة كما ستوفر مئات الألا ف من فرص العمل، كما يؤكد أنها تسير فى خطوات ثابتة نحو التنمية الاقتصادية وفقاً لخطط واضحة وتوجيهات موضوعية تستهدف توفير أكبر قدر من السيولة النقدية من العملة الصعبة وتحسين الوضع الاقتصادى وتعيد التوازن للدولار والعودة لسابق النمو والخروج من الوضع الراهن.

ونجاح الحكومة فى جذب استثمارات ضخمة له الكثير من الدلالات فى مقدمتها ثقة الكيانات الاستثمارية الكبرى فى الاقتصاد المصرى وقدرته على تخطى التحديات، بالإضافة إلى وجود فرص استثمارية هائلة فى ظل الإصلاح الاقتصادى والتنمية الشاملة، ويدعم جهود التنمية المستدامة فى كافة المجالات والقطاعات الاقتصادية ذات التأثير الكبير على الصالح العام ومن بينها القطاعات العمرانية والسياحية والمشروعات الاستثمارية الأخرى ويعالج أزمات التضخم وارتفاع الأسعار التى عانى منها الشعب.

● وأخيراً ... ماذا عن أهم المبادرات التى قدمتها لأهالى الدائرة لتخفيف أعباء المواطنين فيها؟

– الدور المهم لمؤسسة مجاهد نصار للتنمية والأعمال الخيرية هو محاولة تخفيف الأعباء عن كاهل المواطنين، من خلال حرص المؤسسة على المشاركة المجتمعية فى كل المواسم، خاصة فى ظل الظروف الاقتصادية الراهنة والعمل جنباً إلى جنب مع الجهاز التنفيذى للتيسير على المواطنين وتوفير احتياجاتهم بقدر الإمكان، خاصة حالات الأيتام والفقراء والأرامل والمطلقات وذوى الاحتياجات الخاصة والأسر الأكثر احتياجاً.

حوار: حنان موسى

المشهد
العدد 335 - السنة الثالثة عشر - الخميس 27 يونيو 2024 م - 21 ذو الحجة 1445 هـ

قالت العرب

عيونك شوكة في القلب توجعني
وأعبدها وأحميها من الريح
وأغمدها وراء الليل والأوجاع
أغمدها فيشعل جرحها ضوء المصابيح
ويجعل حاضري غدها أعزّ عليّ من روحي

(محمود درويش)

كيف رأى الشعراء والأدباء العرب الآثار المصرية؟

تحظى الآثار المصرية منذ قديم الأزل بالحفاوة والإعجاب ولم يكن العرب بمنأى عن الأمم الذين فتنتهم عظمة وضخامة وإعجاز الآثار المصرية، فخلدوا رؤيتهم لها فى أدبهم النثرى والشعرى حتى أنه روى عن الجاحظ وغيره قولهم "عجائب العالم ثلاثون عجيبة عشرة منها بسائر البلاد وهى مسجد دمشق، وكنيسة الرّها، وقنطرة سنجر، وقصر غمدان، وكنيسة رومية، وصنم الزيتون، وإيوان كسرى بالمدائن، وبيت الريح بتدمر، والخورنق، والسدير بالحيرة، والثلاثة الأحجار ببعلبك.

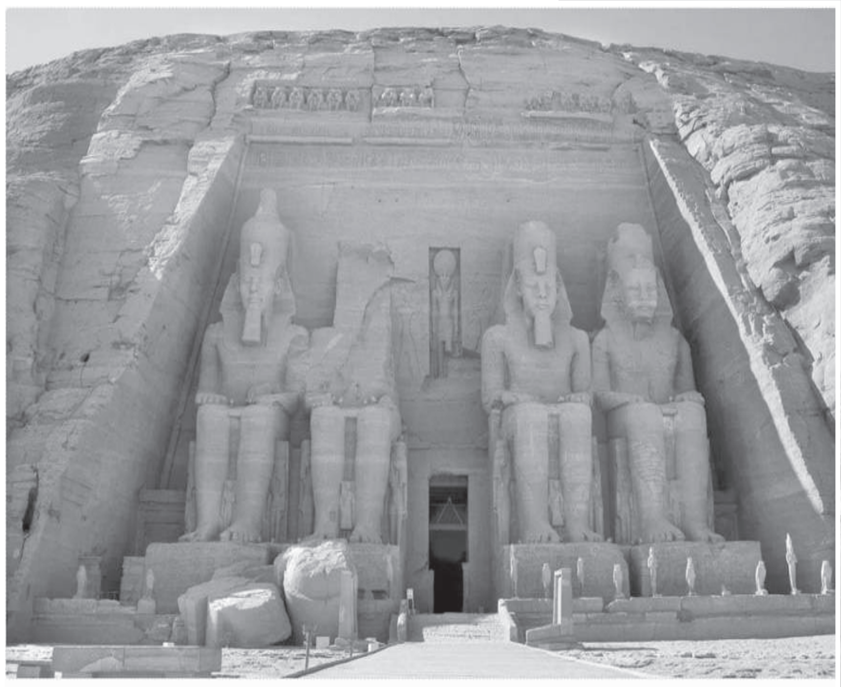

والعشرون الباقية بمصر وهي: الهرمان وهما أطول بناء وأعجبه وليس على الأرض بناء أطول منهما باليد حجر على حجر أطول منهما، وإذا رأيتهما ظننت أنهما جبلان موضوعان، ولذلك قال بعض من رآهما: ليس من شيء إلا وأنا أرحمه من الدهر إلا الهرمين فإنى لأرحم الدهر منهما. ومن ذلك صنم الهرمين، وتطلق عليه العامة اسم أبو الهول ويقال: إنه طلسم للرمل لئلا يغلب على إبليز الجيزة. ومن ذلك بربا سمنود، وبربا أخميم عجب من العجائب بما فيه من الصور، وأعاجيب وصور الملوك الذين يملكون مصر، وكان ذو النون الإخميمى يقرأ البرابي، فرأى فيها حكما عظيمة فأفسد أكثرها. ومن ذلك بربا دندرة، ومن ذلك حائط العجوز من العريش إلى أسوان يحيط بأرض مصر شرقا وغربا. ومن ذلك الإسكندرية وما فيها من العجائب فمن عجائبها المنارة، والسواري،... ويواصل ذكر هذه العجائب التى اندثر أغلبها الآن.

وفى كتابه "الآثار المصرية فى الأدب العربي" يرصد الدكتور أحمد أحمدى بدوى صورة هذه الآثار فى الشعر العربى وفى مقدمة هذه العجائب التى حظيت بتقدير الشعراء وخُلِّدت فى شعرهم الأهرام فهى صاحبة الحظ الأوفر من الذكر ففى كتاب حسن الحاضرة لجلال الدين السيوطى آراء متنوعة حول من بنى الأهرامات؟ ولماذا بنيت؟ وماذا تحوى بداخلها من عجائب؟ ويقول الشاعرالعربى القديم معبرًا عن دهشته عن هذا الصرح العظيم

(حَسَرَت عقول أولى النُّهى الأهرام/ واستُصغرت لعظيمها الأجرام/ مُلسٌ، موثقة البناء، شَواهقٌ/ قصُرت لعالٍ دونهن سهام/ لم أدر حين كبَا التفكر دونهَا/ واستعجمت لعجيبهَا الأوهام/أقبور أملاك الأعاجم هن/ أم هذى طلاسم رمل أم أعلام؟).

ويرجح الدكتور بدوى أن هذه الأبيات ربما تكون أول شعر عربى قيل فى الأهرام؛ لأنه يتحدث عن ملاستها، والغالب أن ذلك كان قبل أن يحاول المأمون فتح باب فيها عند زيارته لمصر.

ولم يشر المتنبى لآثار مصر سوى للأهرامات فقال

(أين الذى الهرَمان من بُنيانه/ مَن قومُهُ؟ ما يومُه؟ ما المصرَعُ؟/تتخلَف الآثار عن سُكانها/ حينًا ويُدركها الفناء فتتبَعُ)

وهذان البيتان قالهما المتنبى هو خارج من أرض مصر فى قصيدة يرثى فيها أحد رجالها.

وذكر الهرمين الشاعر أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسى فيراهما أجمل شيء يمكن أن تراه العين فى هذا الوجود؛ إذ يقول: (بعيشك، هل أبصرتَ أحسن منظرًا/ على ما رأت عيناك من هرمَيْ مصر/ أنافا بأعنان السماء وأشرفا/ على الجو إشراف السِّماكَ أو النَّسرِ/وقد وافيا نشزًا من الأرض عاليًا/ كأنهما نَهْدان قاما على صدر)

وتعددت أوصاف الشعراء لهرمِى مصر فهناك من شبههما بالنهدين دليلاً عن أن مصر هى صدر الأرض ويتعجب أن يظل النهدان برغم كثرة من أنجبتهم من أبناء

(تبين أن صدرَ الأرض مصر/ ونَهداها من الهرَمَيْن شاهد/ فوا عجبًا، وقد وَلَدت كثيرًا/ على هرَم، وذاك النَّهدُ ناهد)

وشبهها ابن الساعاتى وهو شاعر مصرى بالخيام، فيما وصف الشاعر المصرى ظافر بن حداد الهرمين وبينهما أبو الهول بالهودجين لحبيبين مرتحلين، وقف بينهما رقيب يحول بين لقائهما فذرفا دموعا فكانت نهر النيل.

(تأمل هيئة الهرمين وانظر/ وبينهما أبو الهول العجيب/ كعمَّاريَّتين على رحيل/ بمحبوبين بينهما رقيبُ/وماء النيل بينهما دموعٌ /وصوت الريح عندهما نحيبُ)

وشبههما الشاعر المصرى شهاب المنصورى فى شعره بالمسافرين الذين عادا إلى موطنهما فاستقرا فيه، أو عاشقين وشى بحبهما أبو الهول أو ضالين فى الصحراء اهتديا بنجم السماء فأرشدهما.

واختلفت نظرة الشعراء للأهرام بعد اكتشاف حجر رشيد وفك رموز الحضارة المصرية فجاء ذكر الأهرامات بصورة مغايرة فى الشعر المصرى الحديث، مثلما هو الحال فى شعر فخر الدين عبدالوهاب المصري، والسيد على الدرويش ت: ١٨٥٣م. ومحمود سامى البارودى الذى قال عنها فى قصيدة مطلعها (سَلِ الجيزة الفيحاء عن هَرَمَيّ مصر/ لعلكَ تدرى غيبَ ما لم تكن تدري) والتىَ يعبر فيها عن أول صيحة فى الشعر العربى تستنكر الاعتداء على الآثار وتعتز بها وترى قيمة حصبائها أغلى من الدر والذهب.

وحضرت أيضا فى شعر إسماعيل صبرى التى أنشأ قصيدة على لسان فرعون يحث فيها المصريين على العمل. وخص احمد شوقى قصيدة طويلة فى تمجيد الآثار المصرية كبار الحوادث فى وادى النيل. وجاء ذكر الأهرام فى أكثر من قصيدة أخرى مثل النونية الأندلسية التى كتبها فى منفاه.

ومن الشعراء العرب فى العصر الحديث الذين ذكروا الأهرامات خليل مطران الذى لم ير فى الأهرام مصدر عظمة وإنما مصدر عار لبناتها لأنهم استعبدوا الناس من أجل بنائها

(شاد فأعلى، وبنِى فوطَّدا لا للعُلى، ولا له، بل للعدَى/ مستعبدٌ أمتَّهَ فى يومِه مستعبِدٌ بَنيه للَعادى غدَا)

ويرد بدوى على رؤية هذه القصيدة قائلاً "النظرة العادلة تدِل على أن مطرانًا كان فى تلك النظرة ظالمًا غير منصف؛ فإنه على فرض أن هذه الأهرام أنشئت بالظلم، فإنه ليس من العدل أن تُمحى لهؤلاء الملوك كل حسنة من أجل هذه السيئة. على أنه من المستبعد أن يكون الظلم هو الذى بناها مع ما عُرف عن مصر فى القديم من قضاء عادل، وما شهد به حكماؤها من العقل والذكاء، وما كان لملوكها من اعتزاز ببنِى وطنهم. ومن الظلم، كما فعل مطران، أن تُنسى هذه الحضارة التى أشرقت فى هذا الوجود، وكان لها من الآثار ما لا يمكن أن ينساه التاريخ".

ولم تغب مصر عن نثر الناثرين فيقول عنها القاضى الفاضل "الهرمان فرقدا الأرض، وكل شيء يُخشى عليه من الدهر إلا الهرمان؛ فإنه يُخشى على الدهر منهما". وأعجب ضياء الدين بن الأثير بارتفاع الهرمين، فقال فى حديثه عن مصر: «وبه من عجائب الآثار ما لا يضبطها العيان فضلا عن الإخبار؛ من ذلك الهرمان اللذان هرم الدهرُ وهما لا يهرمان، قد اختص كل منهمَا بعظم البناء وسعة الفناء، وبلغ من الارتفاع غَاية لا يبلغها الطيرَ على بعد تحليقه، ولا يدركها الطرف على مدى تحديقه، فإذا أضرمَ برأسه قبس ظنه المتأمل نجمًا، وإذا استدار عليه قوس السماء كان له سهمًا

ويرى جمال الدين الأفغانى فى الآثار المصرية، ومن بينها الأهرام، حافزًا على التشبه بالآباء والأجداد، ودافعًا إلى التمسك بالعزة والكرامة؛ إذ يقول: "انظروا أهرام مصر، وهياكل منفيس، وآثار طيبة، ومشاهد سيوة، وحصون دمياط، فهى شاهدة بمنعة آبائكم، وعزة أجدادكم. هبُّوا من غفلتكم، اصحوا من سكرتكم، عيشوا كباقى الأمم أحرارًا سعداء".

وبالطبع كانت تختلف نظرة الأدباء إليها بحسب رؤية كل عصر لها، وحسب المكتشفات الأثرية الحديثة ووجهة نظر كل واحد حولها.

أما ثانى الآثار المصرية حضورا فى التراث الأدبى العربى فهو أبو الهول فشُبِّه بالرقيب، والمشتاق إلى مطلع الفجر، وعادة ما يرتبط ذكره كما رأينا بذكر الهرمين فى القصائد القديمة وأبرز قصيدة أنشئت حوله لأحمد شوقى التى يقول فيها "أبا الهول طال عليك العصر وبلغت فى الأرض أقصى العمر". ويروى فيها تاريخ مصر الممتد الذى شهد عليه أبو الهول من بطالمة وفرس ورمان وعرب وصولا إلى العصر الحديث.

أما ثالث الآثار المصرية حضورا فى الشعر فهى الهياكل والمعابد المصرية ويكاد حضورها يقتصر فى الشعر العربى العصر الحديث على ما ذكره أحمد شوقى وإسماعيل صبرى الذين رأوا فيها دليل على عظمة المصريين فى إتقان العمل والسبق فى المدنية والفخر بها وبعبقرية الإنسان المصري

(تلك الهياكل فى الأمصار شاهدة/ بأنهم أهل سبق أهل إمعان/وأن فرعون فى حول ومقدرة/ وقوم فرعون فى الإقدام كفئان/ إذا أقام عليهم شاهدا حجر/ فى هيكل قامت الأخرى ببرهان).

وصف شوقى آثار مصر الغارقة فى أسوان (قف بتلك القصور فى اليم غرقى/ ممسكا بعضها من الذعر بعضا).

فيما حلت المقابر فى المرتبة الرابعة حضورًا فى الشعر العربي، واقتصر ذكرها على الشعر العربى الحديث خاصة عند أحمد شوقى الذى شغلته الآثار المصرية أكثر من أى شاعر آخر وأجاد فى وصفها. فيصف حجيج الناس إلى طيبة الأقصر من أجل زيارة وادى الملوك والملكات

"وإذا همُو حجوا القبور حسبتهم وفد/ «العتيق» بهم ترامَى الأينُقُ/ يأتون «طيبة» بالهديٍّ أمامهم/ يغشى المدائن والقرى ويُطَبِّقُ)

ويحضر كذلك شعر شوقى وصف مقبرة توت عنخ آمون ما وجد فيه من آثار كانت وما زالت محط إعجاب العالم. فأنشأ قصيدة عنها يقول فى مطلعها (قفى يا أخت يوشع خبرينا/ أحاديث القرون الغابرينا).

أما منار الإسكندرية فقد تحدث عنها المسعودى فى مروج الذهب والسيوطى فى حسن المحاضرة، ويقول عنها ابن فضل الله العمري: وقد كانت المنارة سرح ناظرٍ، ومطمح أمل حاضر، طالما جمعت أخدانًا، وكانت لجياد الخواطر ميدانًا، ولم يبقَ منها إلا ما هو فى حكم الأطلال الدوارس، والرسوم الطوامس"

ومن هذه الخواطر التى حركتها خواطر شاعرين من أبناء القرن السادس الهجري؛ هما: ابن قلاقس، والوجيه ابن الذروي؛ فقد رُويَ أنهما طلعا المنارة، فاقترح ابن قلاقس على صاحبه أن يصف المنارة، فقال الوجيه على البديهة: (وساميةِ الأرجاء تهدى أخا السُّرَى ضياءً/ إذا ما حندس الليل أظلما/ لبستُ بها بُردًا من الأنس ضافيًا/ فكان بتِّذكارِ الأحِبة مُعلمَا/ وقد ظللتنى من ذُراها بقُبة ألاحظُ/ فيها من صحابى أنجما/ فخيل أن البحر تحتى غمامَةً/ وأنى قد خيَّمت فى كبد السما)

فاشتد سرور ابن قلاقس وفرحه، وقال يصفها:

(ومنزل جاوز الجوزاء مرتقيًا/ كأنما فيه للنسرين أوكار/ راسى القرارة، سامى الفرع فى يده/ للنون والنور أخيار وأخبار / أطلقت فيه عنانَ النظم فاطَّردت/ خيل لها فى بديع الشعرَ مضمار)

ويعلق الدكتور بدوى على هذه الأبيات قائلًا: "لسنا الآن بسبيل نقد هذا الشعر، وتقدير قيمته الفنية، ولكننا بسبيل استنباط ما يدل عليه من الإعجاب بارتفاع المنارة فى جو السماء، حتى خيِّل لابن قلاقس أنها بلغت عَنان السماء، وتخيل الوجيه أنه خيَّم فى كبدها، والإعجاب بهذا النُّور ينبعث منها فيهدى السارين إذا اشتد ظلام الليل، والإعجاب برسو أصلها فى الأرض، واستقرارها فى ثبات".

أما إذا انتقلنا إلى الآثار المصرية فى الأدب المعاصر فيصعب حصرها فى الشعر والقصة القصيرة والمسرح والرواية فمع انتشار الوعى الأثرى أصبحت هذه الآثار تمثل هوية لمصر وليست نبتًا شيطانيا، كما كان يعتقد الأدباء فى العصور السابقة.

د. عبدالكريم الحجراوي

هل مجنون ليلى شخصية حقيقية أم أنه قصة مختلقة من صنع الرواة؟

يعتقد كثير من الناس أن قصة قيس وليلى قصة حقيقية جرت أحداثها في شبه الجزيرة العربية لكن المتأمل للروايات العربية القديمة التي تتناولها يكتشف أنها لم تكن أكثر من حكاية شعبية من نسج الرواة يغيرون في كثير من تفاصيلها مع الحفَاظ على الإطار العام لها، وبالفعل كانت هناك قصة شعبية طبعت في مصر تحت اسم "قيس بن الملوح العامري المعروف بمجنون ليلى"، وإذا عدنا إلى كتب التراث مثل الأغاني سنجد أنه يورد الكثير من الحكايات عن هذين العاشقين على لسان رواة بشكل غير مترابط ويتسم بعضها التناقض تبرز شعبية هذه الحكاية.

يبدأ أبو الفرج الأصبهاني حديثه عن قيس على النهج نفسه الذي يتبعه مع بقية الشخصيات ذاكرًا نسبه والاختلافات حول اسمه "فهو قيس بن الملوح وقيل إن اسمه مهدي" وينقل الأصفهاني مجموعة من الروايات التي تنفي وجوده من الأساس، فيحكي أن أيوب بن عباية سأل بني عامر بطنًا بطنًا عن مجنون بني عامر فما وجد أحدًا يعرفه، وسأل رجلا من بني عامر أن ينشدهم شيئًا من شعر المجنون، قال أو قد فرغنا من شعر العقلاء حتى نروي أشعار المجانين، إنهم لكثير، فقال ليس هؤلاء أعني، إنما مجنون بني عامر الشاعر الذي قتله العشق، فقال هيهات، بنو عامر أغلظ أكبادًا من ذاك، وإنما يكون هذا في هذه اليمانية الضعاف قلوبهم، السخيفة عقولهم، الصلعة رؤوسهم، فأما نزار فلا.

وينقل الأصفهاني رواية عن الأصمعي يقول فيها "رجلان ما عُرفا في الدنيا قط إلا بالاسم، مجنون بني عامر، وابن القرِّيَّة، وإنما وضعهما الرواة". ويتساوق هذا الرأي مع ما قاله عوانة "ثلاثة لم يكونوا قط ولا عرفوا ابن أبي العَقب صاحب قصيدة الملاحم، وابن القريَة، ومجنون بني عامر".

ولكن للأمانة هنا لابد أن نقول إن هناك رواية أخرى للأصمعي تنسب إليه أنه ذهب إلى بني عامر، ورأى المجنون وقد أنشده من شعره. مع الأخذ في العلم أنه يمكن التوفيق بين هاتين الروايتين المتناقضتين من خلال رواية ثالثة منقولة عن الأصمعي ذكر فيها "أنه لم يكن مجنونًا ولكن به لوثة أحدثها العشق فيه، واسمه قيس بن معاذ" فهذه الرواية لا تنفي الأول ولا الثانية فليس هناك قيس بن الملوح ولكن هناك قيس بن معاذ وليس مجنونًا ولكن به لوثة.

وينقل عن الأصمعي قوله إنه سأل أعرابيًا من بني عامر بن صعصعة عن المجنون العامري فقال: عن أيهم تسألني؟ فقد كان فينا جماعة رموا بالجنون، فعن أيهم تسأل؟ فقلت: عن الذي كان يشبب بليلى، فقال: كلهم كان يشبب بليلى، قلت: فأنشدني لبعضهم، فأنشدني لمزاحم بن الحارث المجنون وأنشده كذلك لمعاذ بن كليب المجنون، ولمهدي بن الملوح.

فنحن في هذه الرواية أمام مجانين كثر من بني عامر لا واحد بما يتناقض مع رواية ابن عباية الذي نفى أن يكون في قبيلة بني عامر عاشق على هذه الشاكلة، لأن قلوبهم بدوية غليظة لا تعرف هذا النمط من الحب، وأوعز إلى أن هذه الشخصية قد تكون يمانية ممن عرفوا برقة القلب.

وهناك نمط من الروايات أميل إليه بشكل شخصي وهو يرى أن ما قاله المجنون هو من وضع الناس والرواة فهو شخصية خيالية وربما تكون شخصية حقيقية، لكن ما نُسب إليها لم يكن حقيقيًا وهذا متعارَف عليه في الأدب الشعبي فسيرة عنترة بن شداد والزير سالم وأبو زيد الهلالي...إلخ كلها وإن أشارت إلى شخصيات حقيقية له وجود إلا أن الأحداث المروية في السيرة الشعبية الخاصة بهم خيالية.

ويذكر ابن الكلبي أن حديث المجنون وشعره وضعه فتى من بني أمية كان يهوى ابنة عم له، وكان يكره أن يظهر للناس ما بينهما، فوضع حديث المجنون وقال الأشعار التي يرويها الناس عن المجنون ونسبها إليه.

ويشايعه في هذا الرأي عوانة الذي يرى أن المجنون اسم مستعار لا حقيقة له، وليس له في بني عامر أصل أو نسب، وسئل من قال هذه الأشعار قال هو فتى من بني أمية.

وهذه النتيجة نفسها وصل إليها الجاحظ حين قال "ما ترك الناس شعرًا مجهول القائل إلا ونسبوه إلى المجنون، ولا شعرًا هذا سبيله قيل في لبنى إلا نسبوه إلى قيس بن ذريح".

فهو شخصية في كثير من الروايات لم تعرفه قبيلة بني عامر عندما يسألون عنه ويخبرون أنه هذه الأشعار مولدة عليه. ونقل عن الأصمعي قول مشابه حول أن المجنون قال الشعر لكنما أضيف إليه أكثر مما قاله هو.

نكتشف ما سبق أن هناك تشكيك في كيان المجنون، روايات تشكك في وجوده من الأساس والروايات متواترة في هذا الصدد منها أن أيوب بن عباية لما سمع بيتين وقيل له هما لمجنون ليلى، "لم يعرف من هو، ثم قال ما لهذا حقيقة ولا سمعت به.

وهناك روايات ثانية لا يشكك في وجود المجنون أيًا كان اسمه معاذ أو مهدي أو مزاحم أو قيس وإنما تشكك في الجنون ذاته، لكنها تشكك في جنونه حيث ترى بعضها أنه هو قيس بن معاذ العقيلي لم يكن مجنونا وكانت به لوثة وهذا يوافق ما قاله الأصمعي في إحدى رواياته. ويفسر المدائني سبب لقبه بالمجنون ليس لأنه مجنون وإنما قيل له مجنون بسبب قوله وإني لمجنون بليلى موكل، ولا لست عزوفا عن هواها ولا جلدا/ إذا ذكرت ليلى بكيت صبابة، لتذكارها حتى يبل البكا الخدا.

ويقول العُتبي أنه سمي مجنونا بقوله: يقول الناس عل مجنون عامر يروم سلوًا أنى لما بيا.

أما عن اسمه فهو غير متفق عليه وفيه اختلاف كبير عليه كما بينت الروايات السابقة، وإذ تركنا كل هذا واتجهنا إلى الحكايات المنقولة عنه، فهي لا تخلو من الاختلاف والتناقض، فهو تارة أحبها لما كانا صبيين يرعيان الغنم، وفي رواية أحبها لما رآها مع مجموعة من النساء فنزل إليهن فرأى ليلى فأعجب بها، وتارة لما وُصف إليها جمالها أحبها وعزم علَى زيارتها إلى أن لقيها فأعجبت به وأعجب بها.

وعن سبب رفض تزويجه منها، ففي حكاية لأنه شبب بها ومن عادة القبائل العربية ألا تزوج الشاعر بالمرأة التي شبب بها، وفي رواية ثانية تقدم إلى ليلى جماعة من قومها فكرهتهم وتقدم إليه موسر من ثقيف فكان جميلا فتزوجها وخرج بها. وتتوالى الحكايات حول أسباب الرفض وتلك الحيلة موجودة في كل السير الشعبية ما من حبيب يتزوج حبيبته إلا بعد صراع وأهوال يخوضها.

أما عن صلة القرابة بين المجنون وليلى، فهي تارة ابنة عمه، وتارة جارية من الجواري، وفي روايات تبادل ليلى قيس حبًا بحب ويجري سجال شعري بينهما فيقول قيس (الله يعلم إن النفس هالكة باليأس منك ولكني أعنيها/ منيتك النفس حتى قد أضر بها واستيقنت خلفا مما أمنيها/ وساعة منك ألهوها وإن قصرت أشهى إليها من الدنيا وما فيها)

فلما سمعت هذه الأبيات بكت ليلى طويلا ثم قالت

(نفسي فداؤك لو نفسي ملكت إذًا، ما كان غيرك يجزيها ويرضيها/ صبرًا على ما قضاه الله فيك علي مرارة في اصطباري عنك أخفيها)

وجاء أيضًا أن ذكر إليها حال قيس فلما علمت بحاله بكت وسقطت مغشيًا عليها.

وفي روايات أخرى نجد أن قيس لم يكن يعني الكثير لليلى، بل تزوجت من غيره بسهولة وكانت تتجنب طريقه.

تغرق الروايات الشعبية في ذكر حال العاشق قيس من الذهاب به إلى مكة ليحج ويدعو الله أن يشفيه من محبتها لكن يدعو الله وهو ممسك في أستار الكعبة أن يزيد من حبها في قلبه، وهناك روايات عن توحش قيس وسكنته في البراري هائمًا على وجهه ذهابًا إيابًا حزنًا على فراق المحبوبة إلى أن تنتهي حكاية قيس نهاية قاسية إذ وجد ميتًا في واد خشن كثير الحجر فاحتمله أهله فغسلوه وكفنوه ودفنوه. وكان أشد الناس بكاء وندمًا عليه أبو ليلى. وهذه النهاية تختلف عن نهايات أبطال السير الشعبية الذين يعانون الأمرين من أجل مهر المحبوبة مثل عنترة وعبلة، وحمزة البهلوان ومهردكار، وفيرزوشاه وعين الحياة، وأبوزيد الهلالي وعالية وسيف بن ذي يزن وقمرية...إلخ، لكنهم في النهاية يقضون وطرهم ممن أحبوهن بل ويتزوجون عليهن فعنترة له في السيرة نحو تسع زوجات وكذلك حمزة البهلوان وغيره من الأبطال لأنهم في الأساس هم أبطال عسكريين لهم هدف قومي أساسي على رأسه رفع راية العرب وتوحيدهم ضد أعدائهم، فمسألة العشق ثانوية بالنسبة لغايتهم الكبرى بينما نحن في هذه الحكاية أمام عاشق عذري ليس له غرض سوى الوصل مع محبوبته ليلى كهدف فردي، فجاءت النهاية على هذه الصورة بوفاته دون الوصول إليها لتكتمل مأساته شهيدًا في الحب. وتحولت ليلى إلى رمز لدى الصوفية إلى الحب السامي الذي لا يشوبه غرض حسي.

د. عبدالكريم الحجراوي

المشهد
العدد 335 -السنة الثالثة عشر- الخميس 27 يونيو 2024 م - 21 ذو الحجة 1445 هـ

قالت العرب

رأيتك في جبال الشوك راعية بلا أغنام
مطاردة و في الأطلال
وكنت حديقتي وأنا غريب الدّار
أدقّ الباب يا قلبي على قلبي
يقوم الباب والشبّاك والإسمنت و الأحجار

(محمود درويش)

خالد أبو الليل يرصد تشابه الحكايات الشعبيَّة فى العالم رغم التَّباعُد الجغرافى واللغوى

ينطلق الدكتور خالد أبو الليل أستاذ الأدب الشعبي بكلية الآداب جامعة القاهرة في كتابه «الحوار بين الشرق والغرب في ضوء الثقافة الشعبية: نحو منهجية جديدة للتواصل الإنساني» الصادر عن «معهد الشارقة للتراث» من فرضيَّة ترى أن الأدب الشعبي خاصة فيما يتعلق بـ«الحدوتة» وسيلة من وسائل التقارب بين الشعوب بسبب تشابه هذه الحكايات في طقوس حكيها ومضمونها وأحداثها في مناطق مختلفة من العالم رغم التباعد الجغرافي والتباين اللغوي بين دول العالم. جاعلًا من الحكاية الشعبية طريقًا لإصلاح ما تفسده السياسة بين الشعوب، وسبيلًا للتحاور بين الثقافات والتأكيد على وحدة الأصل الإنساني ورفع شعار تكامل الحضارات لا الصراع والصدام بينها.

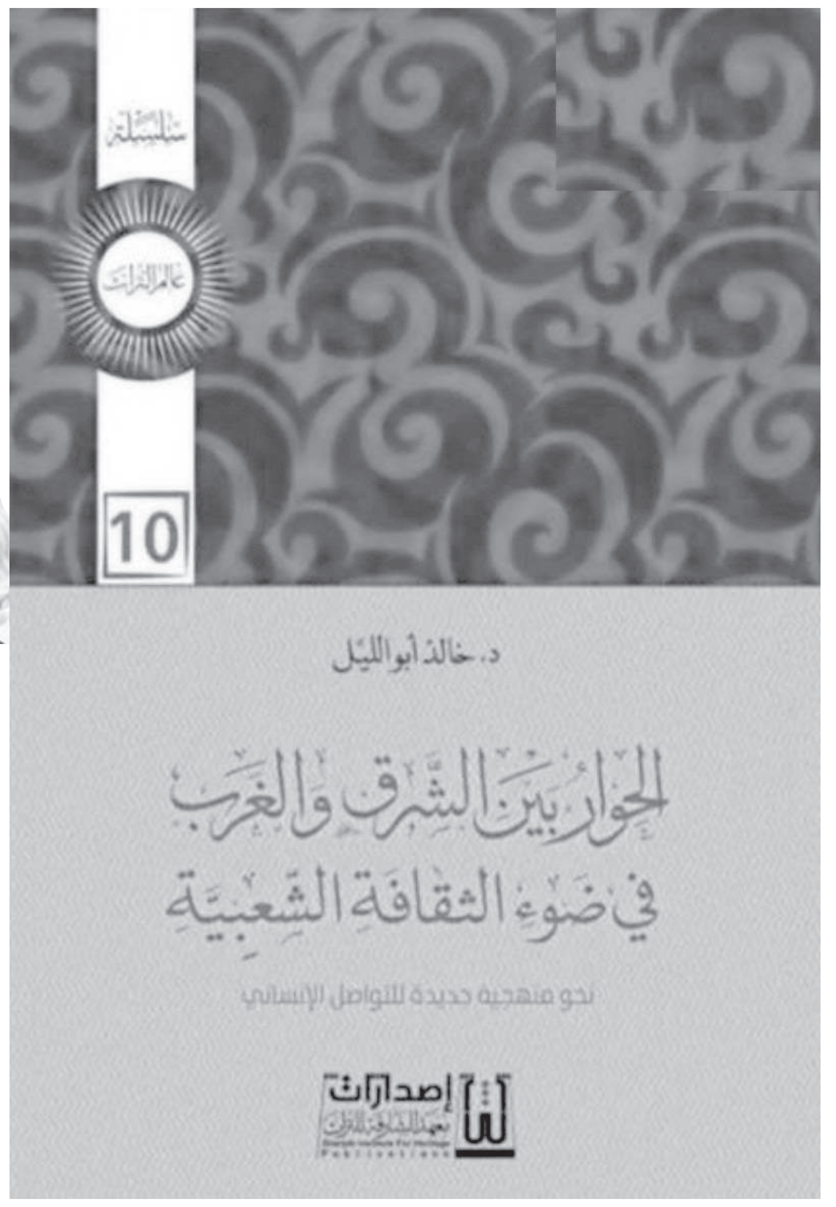

الملاحم والسير

ويفسر خالد أبو الليل سبب جعل الحدوتة وسيلة للتحاور والتفاهم بين شعوب العالم دون بقية أشكال المأثور الشعبي؛ لأنه من خلال استقراء السير الشعبية والأساطير والملاحم يُلاحظ أنها فنون تحتفى بالحرب والفروسية باستثناء الحدوتة، لا توجد فيها حروب بالمعنى الفنى لكلمة حرب ولا مواجهات ومبارزات بين الأبطال، ولا تستخدم فيها أدوات الحرب التقليدية، وإنما فى بعض المواجهات القليلة نجد استخدامًا لبعض الأدوات السحرية مثل الدبوس السحرى أو الخاتم السحري، فالحواديت فن يخلو من سيل الدماء والبعد الثأرى على عكس الفنون الشعبية الأخرى.

ويرى أبو الليل أنه رغم التشابه بين الملاحم والسير فى البناء والمضمون فإنه لا يمكن الاعتماد عليها فى المنهجية المقترحة داخل الكتاب الباحثة عن سبل التحاور بين الشرق والغرب، فالتشابه بين الملاحم والسير هو تشابه فى قيم وموضوعات مثل الحرب والقتال والثأر ولا ينبغى أن تسود هذه العلاقة بين الأمم، وإنما قيم المحبة والسلام التى تكرس لها الحكايات الشعبية عكس الملاحم والسير.

فرط الرمان

ويقدِّم خالد أبو الليل فى كتابه مجموعة من الحكايات الشعبية التى تتشابه إلى حد التطابق بين الدول العربية والدول الإسكندنافية، ومن ذلك حكاية «نصوع الثلج» الألمانية التى تتشابه إلى حد كبير مع الحدوتة المصرية «فرط الرمان والمراية» ويحكى مضمون القصتين عن ملكة تتجب بنتًا جميلة ثم تموت فيتزوج الأب من امرأة أخرى جميلة، تسأل المرآة من أجمل سيدة فى العالم ففى الحكاية الألمانية تقول «مرآتى يا مرآتى فى الدنيا وكل الملكات من هى أجمل الفتيات؟» وتجيبها المرآة «الملكة فى كل القسمات» وفى الحكاية المصرية صيغة مشابهة تقول «يا مرايتى يا مرايتى يا هنداوية الأجمل أنا ولا الستات» فترد المرآة «إنت أجمل واحدة» لكن ما إن تكبر الفتاة الألمانية والفتاة المصرية تخبر المرآة صاحبة السؤال، أن نصوع الثلج أجمل آلاف المرات، وفى الحكاية المصرية «إنت جميلة جميلة، بس فرط الرمان أجمل منكِ».

تقرر زوجة الأب فى الحكايتين قتل البنت التى فاقتها فى الجمال، فى الرواية الألمانية تطلب من الصياد أن يقتل نصوع الثلج/ بياض الثلج فى الغابة ويأتى لها بالرئتين والكبد، وفى الحكاية المصرية أن يُلقى بالفتاة فى الصحراء ويملأ زجاجة من دمائها، فيشفق الصياد فى الحكايتين على الفتاة وجمالها فلا تُقتَل، ويُرسَل إلى زوجة الأب دماء غزالة وأيضًا الرئتين والكبد لإيهام السيدتين بأن عملية القتل قد نُفِّذت، فتهيم الفتاتان فى الحكايتين فى الغابة والصحراء إلى أن تصلا إلى بيت فيه سبعة أشقاء، فى الرواية المصرية تكتشف فرط الرمان أنهم إخوتها، وفى الرواية ألمانية لا تكون هناك مثل هذه الصلة نتيجة للاختلاف بين الثقافتين، فالعربية ترفض أن تقيم فتاة مع أغراب عنها.

ويستمر التشابه بين الحكايتين فى محاولة زوجة الأب قتل نصوع الثلج وفرط الرمان بعد معرفة أنهما أحياء مرة من خلال دبوس سحري، ومرة أخرى من خلال تفاحة مسمومة، إلى أن تنتهى الحكاية نهاية سعيدة بانتصار نصوع الثلج وفرط الرمان وزواجهما من ابن الملك وهزيمة المرأة الشريرة التى حاولت مرارًا وتكرارًا قتلهما.

ويعلق الدكتور خالد أبو الليل على هذا التشابه قائلا «وكما هو واضح فإن درجة التشابه بين الروايتين المصرية والألمانية إلى الحد الذى يمكن اعتبارهما روايتين تنتميان إلى المكان نفسه، وليس بينهما هذه المسافة المكانية والزمانية البعيدة، فهذه الحكاية سَجَّلتُ لها أكثر من رواية مصرية من أكثر من مكان، وإننى لا أبالغ إذا ما قلتُ إن بعض الاختلافات التى رصدتها بين بعض الروايات المصرية وبعضها البعض كثيرًا ما تجاوزت الاختلافات البسيطة التى وقعت بين الرواية المصرية والألمانية. ولم يقتصر التشابه على الأحداث فحسب وإنما يمتد إلى البداية والحبكة والنهاية السعيدة، والشخصيات وتسمية الشخصيات وأسبابها، والصيغ المتكررة، والموتيفات، أما الاختلافات البسيطة مردها إلى الطبيعة الشفهية للنص من حيث الميل إلى الإضافة والحذف أو اختلاف ترتيب الأحداث وكذلك تأثر الحكاية المصرية بالموروث الأسطورى المصرى القديم، والموروث الدينى خاصة قصص الأنبياء».

سندريلا

ويقارن خالد أبو الليل بين حدوتة«أشن بوتيل أو سندريلا الألمانية»وحدوتة«بدر الصباح أو سندريلا المصرية» وتصل درجة التشابه بين الحكايتين إلى حد كبير يدعو إلى التأمل، فهذه حدوتة رُويت فى كل شعوب العالم وتحظى باهتمام عالمي، والبعض يعيد أصل هذه الحكاية إلى مصر الفرعونية القديمة مثل حكاية «رادوبيس» وهو ما يرجحه الفرنسى جوزيف أدولف بيدييهJoseph bedier (١٨٦٤: ١٩٣٨) ويحكى مضمون القصة المصرية القديمة أن رادوبيس كانت فتاة جميلة، وذات يوم بينما هى تستحم والخادمات يحرسنها ويحتفظن بملابسها هبط نسر بجوارها وخطف فردة حذائها وطار بها إلى ممفيس حيث يوجد الملك بسماتيك، وأسقط الحذاء على الفرعون الذى أُعجب بجماله فأمر بالبحث عن صاحبته وعندما وجدها تزوجها. وهذه أقدم الحكايات التى لدينا لحكاية سندريلا. فيما تتفق الحدوتة المصرية بدر الصباح وسندريلا الألمانية فى كثير من التفاصيل كما هو الحال فى الحدوتة السابقة.

تشابه فريد

هذا التشابه الفريد بين الحكايات جعل العلماء يقدمون العديد من النظريات التى تسعى إلى تفسيره مثل النظرية الانتشارية، ونظرية وحدة الأصل، ونظرية هجرة الحكايات الشعبية. وهناك من أرجع ذلك التشابه إلى وحدة العقل البشرى فالحكايات تُبنى على موضوعات أساسية فى حياة الإنسان ومن ثمَّ فإن العقل البشرى يخلق الفكرة نفسها فى أزمنة وبلاد مختلفة.

وأرجع كتاب «الأساطير الألمانية» للأخوين جريم التشابه إلى المصادفة وتفترض نظرية المصادفة تلك وجود مواقف ومصالح إنسانية مشتركة تقوم على أساس افتراضات أخلاقية عامة، يتقبلها البشر رغم اختلافاتهم الزمانية والمكانية والعرقية أو الدينية وبررت هذه النظرية وجود التشابه وأكدته؛ لكنها لم تفسر أسباب هذا التشابه، الأمر الذى أدى إلى ظهور نظرية «الانتشار» والتى تقول بانتشار الحكايات من بلد إلى بلد عن طريق البحارة والرحالة والتجار، فحسب البعض عملية انتشار الحكايات بسيطة ولا تحتاج وجود هجرات أو غزوات فيكفى أن ترسو سفينة أو شراء عبد لتنتشر الحكايات وتتناقل بين شعوب العالم. وإلى جانب النظرية الانتشارية نجد مسميات أخرى مثل نظرية «سفر الحكاية من بلد إلى بلد» ونظرية «الانتقال من الفم إلى الأذن» ويخلص أصحاب هذه النظرية إلى عدم ملكية شعب من الشعوب للحكاية الشعبية فهى ملك لكل الشعوب ولكل البشر.

وهناك من أرجع التشابه إلى وحدة المنبع مثل أ. ل. رانيلا صاحب كتاب «الماضى المشترك بين العرب والغرب» الذى يرى أن المنبع الكلى للموضوعات الشعبية الشرقية والغربية معًا هو ذلك المورد الرئيسى الأولى من موروث أهل الشرق الأدنى والأوسط من الإغريق القدماء والحضارة الهلنستية ومصر والهند والفرس والرومان والعرب المبكرين، والتراث الإسلامى المركب من كل تلك المركبات الذى عاد وأصبح زادًا تتزود به جميع الشعوب.

التصنيفات

دفع هذا التشابه بين الحكايات الشعبية على مستوى العالم علماء الفولكلور إلى طرح تصنيفات عالمية لها، تضم الحكايات الشعبية فى شتى أنحاء المجتمعات الإنسانية تيسيرًا على الباحثين لإجراء دراساتهم المقارنة، وكانت أولى المحاولات التصنيفية للفنلندى آنتى آرنى (١٨٦٧: ١٩٢٥) فى تصنيفه المشهور الذى ارتبط باسمه، ويقسم الحكايات الشعبية حسب أنماطها وطرزها، وجاءت بعده محاولة الأمريكى ستيث طومسون (١٨٨٥: ١٩٧٦) التى حاول فيها أن يتجاوز النواقص الموجودة فى نموذج آرنى وصنَّف فيها الحكايات الشعبية حسب الموتيفات الأساسية، ثم جاءت المحاولة الثالثة التى سعتْ إلى التنظير لشكل الحكاية الخرافية وبنائها ومحاولة التَّعرف إلى القانون البنائى لها من خلال التحليل المورفولوجى للعالم الروسى فلاديمير بروب (١٨٩٥: ١٩٧٠) فى كتابه «مورفولوجيا الحكاية الخرافية» وهى دراسة بنيوية تقوم على تحليل الحكايات الخرافية من خلال دراسة الوظائف بغض النظر عن صفاتها، وحدد هذه الوظائف ٣١ وظيفة تبدأ بإبعاد البطل وتنتهى بعودته وتحقيق أهدافه.

فن نسائي

ويرصد الدكتور خالد أبو الليل مجموعة من خصائص الحكايات الشعبية «الحواديت» المشتركة بين الثقافات المختلفة أولها: أنها ترتبط بالسيدات فهن أكثر الرواة لها فينقل عن أحمد أمين قوله فى قاموسه عن العادات والتقاليد المصرية أن الحواديت تحكيها العجائز خاصة بالليل، وتلك خاصية عالمية لا تقتصر على المجتمع المصري، بلٍ تمتد إلى العالم كله، وتشترك فيها مصر أيضًا مع بقية الدولة العربية، ففى شمال إفريقيا يطلق على السيدة التى ترويها اسم «الخرَّافة» وفى معظم دول الخليج العربى وفلسطين اسم «المحِّدثة»، ويذكر اللغوى الألمانى فريدريش فون ديرلاين (١٨٧٣: ١٩٦٦) أن الحكايات قد كوفحت بما فيه الكفاية بوصفها حكايات عجائز، وهو الأمر الذى ينتهى بنا إلى وصف الحدوتة بأنها فن نسائى مثل كثير من أشكال المأثورات الشعبية التى ترتبط فى أدائها بالمرأة، فالنساء هن المحافظات على هذا التراث لأنهن فى المنزل دائمًا بجوار أطفالهن ينقلن هذا التراث، فى حين يخرج الأب للعمل فيصبح السرد من اختصاصهن.

ومن الخصائص المشتركة بين الحكايات العالمية أن جمهورها يكون من الأطفال وأنها تروى ليلًا فى جلسات السمر، وتبدأ بالافتتاحيات التقليدية مثل «كان يا ما كان» أو «وحد الله، كان ما كان ما يحلى الكلام إلا بذكر النبى عليه الصلاة والسلام»...إلخ، كما أن هذه الحكايات تحتفى بالصيغ الجاهزة التى يسهل حفظها، وتنتقل من قصة إلى أخرى، وأنها تسعى من البداية للوصول إلى النهاية السعيدة، وتنتهى بصيغ ختام تقليدية مثل «توتة توتة خلصت الحدوتة» وتنحصر الوظائف التى تهدف إليها الحكايات إلى المحاكاة والتسلية والتعليم خاصة وأنها تروى للأطفال.

وفى الأخير يكشف تشابه الحكايات الشعبية بين الثقافات الإنسانية إلى عمق وقدم العلاقة بينها، فالكتاب يرصد عددًا من الحكايات التى تتشابه مع الحكايات العربية ونظيراتها فى ألمانيا وفرنسا والدول الإسكندنافية، وتؤكدها دراسات أخرى أجريت على الحواديت فى روسيا وأمريكا وفى حضارات سابقة مثل المصرية القديمة واليونانية والهندية والفارسية وغيرها. فهى تعبر عن قيم إنسانية مشتركة تدعم الحوار بين الشرق والغرب تقرب ولا تبعد وتجمع ولا تشتت.

د: عبدالكريم الحجراوي

رانيا يحيى تستكشف أبعاد مسرح انتصار عبدالفتاح البوليفوني

تناقش الدكتورة رانيا يحيى فى كتابها «المسرح البوليفوني: فنون ما بعد الحداثة» الصادر عن سلسلة الإبداع المسرحى بالهيئة العامة للكتاب موضوعًا ثريًا يربط بين الفن والفلسفة. وينقسم الكتاب (٢٩٠ صفحة من القطع المتوسط) إلى قسمين: الأول نظرى تقارن فيه بين فلسفة الحداثة وتيار ما بعد الحداثة الذى تبلور على أيدى فلاسفة مثل إيهاب حسن ودريد وميشال فوكو. والقسم الثانى تطبيقى تحلل فيه أبعاد مسرح انتصار عبدالفتاح الما بعد حداثي.

وتشير رانيا يحيى فى كتابها إلى الأسس التى أوردها إيهاب حسن أحد أهم منظرى تيار ما بعد الحداثة والتى أوجزها فى أربع نقاط أساسية للتفرقة بين عصر الحداثة وما بعد الحداثة وهى رفض السرديات الكبرى فى مقابل التركيز على الهامش والجزئيات، رفض اليقين المعرفى المطلق، رفض الحتمية الطبيعة والتاريخية التى سادت فى مرحلة الحداثة ولا سيما فى مفهوم التطور الخطى للزمن، مناهضة جميع أشكال السلطة سواء فى الخطاب أو السياسية أو الفن.

ورغم بعد العالم العربى عن الأسباب التى أدت إلى ظهور تيار ما بعد الحداثة فى الغرب إلا أن مظاهره امتدت إلى عالمنا خاصة فى الفن وفى المسرح بالتحديد، فهناك العديد من التجارب المسرحية العربية التى اتكأت على التجريب وعلى الجماليات الفنية لفنون ما بعد الحداثة ومن هذه التجارب تجربة المخرج انتصار عبدالفتاح التى أطلق عليها اسم المسرح البوليفوني.

وتحلل رانيا يحيى مجموعة من العروض التى قدمها عبدالفتاح وبرزت فيها روح التجريب الما بعد حداثية مثل مسرحية العربة الشعبية ١٩٧٨، والدربكة ١٩٨٩، ترنيمة ١ عام ١٩٩١، وكونشيرتو ١٩٩٤م، صوناتا ١٩٩٥، وسيمفونية لير ١٩٩٦م، ترنيمة ٢ سنة١٩٩٧م، ومخدة الكحل ١٩٩٨م، وطبول فاوست ١٩٩٩، راهب الأحجار ٢٠٠٠م، ومرثية العمر الجميل عن قصيدة الشاعر أحمد عبدالمعطى حجازى ٢٠٠٣م، الخروج إلى النهار ٢٠٠٦، وأطياف المولوية ٢٠٠٩م، وطقوس السمو ٢٠١١م.

وترى رانيا يحيى أن تجربة انتصار عبدالفتاح وصلت إلى النضج الفنى فى مسألة التجريب وتعددية الأصوات فى عرض الدربكة، تواصلت أعماله فى نسق تصاعدى وصولًا إلى عرضه مخدة الكحل الذى لقى استحسانًا كبيرًا من الجمهور ومن النقاد وحظى بالعديد من الجوائز.

وتصل يحيى فى نهاية الكتاب إلى مجموعة من النتائج أهمها أن المخرج انتصار عبدالفتاح نظر إلى المسرح باعتباره مساحة للتقارب بين الثقافات العالمية المختلفة وتعامل مع التراث على أنه كائن حى يستوجب التفاعل معه بوصفه ليس معبرًا عن الماضى فقط وإنما المستقبل كذلك. وتشير أيضًا إلى أنه فى أعماله استلهم البيئة الشعبية فى عروضه فضمت الأسواق ووظفت أصوات الباعة الجائلين والحياة اليومية وفنون الفرجة الشعبية والتراث المصرى القديم والحالة الصوفية. كما أنه عمل على تقديم عروضه فى فضاءات غير معتادة سواء فى الأماكن الأثرية مثل قصر الأمير طاز ومتحف النوبة أو الساحات المفتوحة وفى الميادين العامة، مما جعله صاحب تجربة فريدة وشديدة التميز فى المسرح العربى الحديث.

د. عبدالكريم الحجراوي

إسماعيل نبى الله ورسوله (١)

د. عبدالكريم الحجراوي

يكثر فى القرآن الكريم ذكر أنبياء بنى إسرائيل مع سرد تفاصيل قصصهم مع أقوامهم، فى مقابل حضور أقل لنبى الله ورسوله إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وهو أبو العرب المستعربة وله مكانة كبيرة فى شجرة النسب العربى وجد النبى محمد.

ورد ذكر إسماعيل عليه السلام فى القرآن الكريم ١٢ مرة معظمها يذكر فيها اسمه ضمن أسماء مجموعة من الأنبياء عليهم جميعًا الصلاة والسلام من ذرية إبراهيم عليه السّلام. منها على سبيل المثال ما جاء فى صورة آل عمران (قُل آمَنَّا بِاللَّه وَمَا أُنزل عَلَيْنَا وَمَا أُنزل عَلَى□ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيل وَإِسْحَاق وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاط وَمَا أُوتِيَ مُوسَى□ وَعِيسَى□ وَالنَّبِيُّونَ من رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَد مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) □٨٤ آل عمران□، وما جاء فى صورة النساء (إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى□ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ من بَعْده □ وَأَوْحَيْنَا إِلَى□ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيل وَإِسْحَاق وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطَ وَعِيسَى□ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ □ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا) □١٦٣ النساء□.

بينما ورد ذكر أخيه إسحاق عليه السلام ١٧ مرة، كثير منها فى بشارة مولده وإعجازها بعد بلغت سارة الكبر، فيما ورد ذكر ابنه يعقوب عليه السلام ١٦ مرة، ويوسف ٢٧ مرة وأفردت له سورة كاملة أحسن القصص، داود عليه السلام ١٦ مرة، وسليمان عليه السلام ١٦ مرة، بينما موسى عليه السلام ١٣٦ مرة. وسيدنا إبراهيم أبو الأنبياء ٦٩.

إحصائية دالة، وكثيرًا ما لفت انتباهى قلة الإخبار عن إسماعيل عليه السلام هو لم يكن نبيا فقط بل نبى ورسول، أوحى الله إليه ووصفه سبحانه وتعالى بأنه صادق الوعد ومن الأخيار ومن الصابرين، (وَاذْكُرْ فى الْكِتَاب إِسْمَاعِيلَ □ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا) □٥٤ مريم□، (وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ □ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ) □٨٥ الأنبياء□، (وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا □ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ) □٨٦ الأنعام□، لكن لم يرد أى تفصيل لأى حكاية له على غرار نبى الله سليمان أو داود عليهما السلام ، ولم يرد ذكره منفصلًا كما ذكرنا من قبل، ربما يكون أكثر حضور فيه خصوصية له هو رفعه القواعد مع أبيه إبراهيم عليه السلام، ويظهر فيها فى صورة المساعد لأبيه إبراهيم عليه السلام (أبو الأنبياء) (وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا من مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى □ وَعَهِدْنَا إِلَى□ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيل أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُود) □١٢٥ البقرة□ فهنا تظهر واحدة من أهم الوظائف التى أوكلت إلى سيدنا إسماعيل هى عهدة بيت الله الحرام وتطهيره. وفى الآية الثانية من صورة البقرة كان مشاركا لوالده فى رفع قواعد البيت الحرام (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيل رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا □ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) □١٢٧ البقرة□ ذلك البيت الذى كان يتمتع بقدسية كبيرة عند العرب حتى قبل الإسلام وأعطى مكانة كبيرة لقريش على بقية قبائل العرب لأنهم حراس بيت الله الذى يعظمونه.

إلا أنه مع هذا المكانة الكبيرة لإسماعيل عليه السلام الذى أنجب ١٢ رجلا منهم ابنه الثانى قيدار جد عدنان جد النبى صلى الله عليه وسلم وهو جد العرب المستعربة. نرى فى القرآن الكريم حضورًا طاغيًا لأبناء إسحاق وبالتحديد ابنه يعقوب (إسرائيل)، وهذا الأمر كان يدفعنى إلى السؤال حول سبب ذلك ولم أكن أجد تفسيرًا مرضيًا لي.

لكن ما إن بدأت أحداث طوفان الأقصى فى أكتوبر الماضى وجدتنى أصل إلى قناعة أن هذا من تمام نبوة نبى الله محمد، وأن القرآن من عند الله وحده، ففى العرف العربى والإنسانى كله ربما، يحتفى الشخص بأجداده الأقرب فالأقرب، ولو كان القرآن من عند النبى لاحتفى بجده إسماعيل فهو من نسله المباشر، وسيكون ذلك أكثر إقناعًا للعرب بالدين الجديد الذى جاء به؛ لأنه يتكلم عن جدهم ويرد على تفاخر اليهود عليهم بكثرة الأنبياء فيهم؛ لكن ما حدث هو العكس بالحضور الكبير لأنبياء بنى إسرائيل.

(أعنى هنا العرب المستعربة، ويمتد أيضًا إلىالعرب العاربة من أبناء قحطان الذين نشأ وتربى بينهم وصاهرهم إسماعيل عليه السلام، أما العرب البائدة فقد انتهى أمرهم إلى ما انتهى إليه).

فإذا تأملنا فى القرآن الكريم سنجد الله سبحانه وتعالى حكى قصة سيدنا موسى بكثير من جوانبها وأعاد سرد المشهد الواحد بأكثر من زاوية، وأنزلت سورة تحكى قصة يوسف، وأبرز القرآن جوانب من حياة نبىَ الله داود وسليمان، لكن لم تنزل سورة باسم سيدنا إسماعيل، تحكى فيما كان صبره، وكيف كان صادق الوعد ولماذا فضله الله، وهو النبى الرسول الموحى إليه من رب العزة والنبى الوحيد الذى جاء إلى شبه الجزيرة العربية؛ ربما يُوصل ذلك رسالة غير صحيحة بأن النبى محمد □أرسل إلى قومه فقط وأن دعوته خاصة، على عكس الحقيقية بأنه □أرَسل للعالمين بشيرًا ونذيرًا.

ونلاحظ فى القرآن أن الإسلام يربط نفسه دائمًا بالمنبع بسيدنا إبراهيم (أبو الأنبياء) ويشير إلى جميع الأنبياء من لدن نوح إلى محمد □ مرورًا بإسحاق ويعقوب وعيسى والأسباط ...إلخعلى أنهم كانوا مسلمين.

لذا أود أن أضيف هنا ربما عدم إفساح مساحة كبيرة لسيدنا إسماعيل عليه السلام فى محكم التنزيل للتأكيد أن المعيار فى الدين ليس صلة الدم والقرابة وحدها وإنما الإيمان فى المقام الأول وأن أنبياء الله لا تفريق بينهم. وفى الأخير تظل حقيقة راسخة أنه ليس هناك تشريف وتكريم لسيدنا إسماعيل عليه السلام أكبر من أن يكون خاتم النبيين والمرسلين سيدنا محمد □من نسله.

المشهد
تصدر عن شركة «المشهد» للصحافة والطباعة والنشر «ش.م.م»

مدير التحرير
محمد موسى
الإخراج الصحفى:
هالة سعيد عباس

الإدارة والإعلانات والاشتراكات
٤٥ ش عبدالرحيم صبرى. الدقى
ت: ٠١٠١٩٤٤٤٠٠٣ـ ٣٧٧٢٢٠٣٤
فاكس: ٣٧٧٢٢٠٣٤
البريد الإلكترونى
almash_had@yahoo.com
التوزيع والاشتراكات: مؤسسة الأهرام

العدد 335 - السنة الثالثة عشر - الخميس 27 يونيو 2024 م - 21 ذو الحجة 1445 هـ

كلام والسلام

مصر .. محلك سر

بقلم: خالد حمزة

لا أخفيكم سرا .. أن كل مصرى بسيط تحت خط الفقر أو عنده أو فوقه بقليل أو متوسط الحال مثلى . أو ياحرام من ميسورى الحال الأغنياء.. يشتكى من قلة الحيلة وضيق الحال.. ولكن كل يبكى على ليلاه .

منا من يشتكى من عدم قدرته على توفير قوت يومه . ويكتفى بجمع الطعام من صناديق القمامة .. وتلك وللأسف الشديد أصبحت ظاهرة تراها فى كل مكان .

وبعض هؤلاء يمسك بكيس اسود . وعلى استحياء يقوم بجمع ماتيسر من بواقى طعام من القمامة .

ومنا من يمسك بشوال أو كيس كبير .. ويقوم بجمع عبوات الكنز والبلاستيك وخلافه. ثم يقوم وبعد لف ودوران طوال النهار .. ببيعها لباعة الخردة آخر النهار .

عدم تمكنهم من الانتقال من الرحاب أو مدينتى أو مارينا وهاسيندا

والتعجب أن بعض تجار الخردة .. انتهزوا حاجة هؤلاء، نساء ورجال وأطفال، فى تشغيلهم لحسابهم .. مقابل أجر يومى

ومنا من يجد قوت يومه بالضالين . ولكنه يحسب حسبة برما مع فواتير المية والغاز والكهرباء والذى منه ..

وإن أنعم الله عليه بسيارة تغنيه عن سؤال اللئيم. فعليه أن يدبر ميزانية إضافية للبنزين مع تزايد أسعاره المستمر .

ومنا .. من يشتكى من فواتير الجيم بالنادى الخاص والأيروبكس.. التى أصبحت نارا لا تطاق .

ومنا .. والشهادة لله أنهم الأقلية رغم تزايدهم كل يوم .. من يشكون مر الشكوى .. من عدم تمكنهم من الانتقال من الرحاب أو مدينتى أو مارينا وهاسيندا .. إلى مدن الأكابر من السعداء .. فى العلمين الجديدة والساحل الشرير الجديد .. ومن جاور السعيد يسعد . والمصالح بتتصالح .

والغريب فى الموضوع .. أن الحكومة تنظر لكل هؤلاء، ولكنها .. والأغرب تقتص من الفقراء وتحت الفقراء وحتى الطبقة الوسطى .. التى أوشكت على الاندثار .

وعندما ترى أن الأكابر مننا برده .. يشترون بالمليارات وفى أيام قلائل . .شققا وفلل وخلافه .. فى مشروع سياحى واحد. تنظر باستهجان .. شوفتؤا ها هم المصريون معاهم فلوس وبالمليارات .

ورغم ذلك لا يملون من الشكوى ليل نهار .

مسكينة الحكومة. .. ابتليت بشعب أدمن الشكوى .. تماما مثل إدمانه للفول والطعمية.

khaledhamza27@yahoo.com

الرياضة المصرية والعربيَّة ونظرية التّشبيه والشّبيهة والتّشبيهة وما أشبه!

لعلّنا استمتعنا أمس بنهائيين بديعين مختلفين من نهائيات كرة القدم العالميّة؛ أحدهما انتصرت فيه إسبانيا بخيال ثيربانتيس المحلّق، وعقليَّة دون كيشوت حين تتحوَّل إلى واقع جسور؛ فكسرُوا حصون الفرنسيِّين والإنْجليز، و أسقطوا سور برلين العظيم؛ فدكوا بسيوفهم الدون كيشوتية الحديثة كل الحصون، وأحيوا تراب عنقاء ثيربانتيس العظيم ليحلّق فى سماء برلين بعد أن سقطت حصونها، وحصون المدارس الكرويّة الكبرى فى العالم..!

والنّهائى الثّانى نهائى كوبا أميركا الذى استضافته الولايات المتحدة، ووصلت الأرجنتين إلى نهائى الكأس فى مقابلة بلد ماركيز العظيم الذى قيل فيه: إنّ أحدًا لم يقلق عنقاء ثيربانتيس فى مرقدها إلا «مئة عام من العزلة» للكولومبى جابرييل جارثيا ماركيز الذى سقطت كلّ محاولات الغجر المتعددة فى إنقاذ أورسولا بطلة روايته، وانتصرت الواقعيّة الكرويّة الأرجنتينيّة على الواقعيّة السحريّة الماركيزية الكولومبيّة...!

وقد شغلت الاستعارةُ؛ بوصفها التكثيف المجازيّ للتّشبيه حيّزًا واسعًا فى التّفكير البلاغيّ والنّقديّ والثّقافيّ لدى العرب وغيرهم من الأمم، أيضًا...!

و الاستعارة هى نصف التّشبيه المراوغ والفاعل والمخاتل والنائب عنه فى المقاربة والجمع بين الشّبيهين من وجهة نظر مستخدمها أوّلًا؛ لأنّ التّشبيه هو الباب الرّئيس لعلم البيان، والمفتاح السِّحريّ لجمع العوالم المتقاربة والمتّفقة، والمتباعدة والمستحيلة، أيضًا، على سبيل المبالغة، فهو قادرٌ على قلب الحقائق، ومغازلة المرأة الفاتنة النَّافرة الجموح للإيقاع بها، ومحاججة الخصم المعاند المكابر لكسب المعركة الجداليَّة التى يسعى كل طرف أن يكسبها بلحنه، وبلاغته، وقدرته الفذَّة على صناعة التّشبيه بأنواعه الكثيرة التى تفرّعت عن التّقسيم الثّلاثيّ الكلاسيكيّ....!

ومن ثمَّ؛ وجدنا فى أمثالنا العربيّة قول طرفة بن العبد الشّاعر الشَّاب الذى لم تمنعه حكمته من أن يقدم روحه هدية لعدوه: ما أشبه اللّيلةَ بالبارحة..! يتمثّل به القائل على سبيل العزاء وتقبّل الأمر الحاضر، والتّجلّد فى مواجهة الحاضر تأسيًّا بالسّابقين، وقد يُطلقُها فى سياقات متعدّدة بحسب اجتهاده وتفننه فى بلاغة القول..!

وحرص النقّاد العرب على تقريب المعانى والأفكار والأبيات بقولهم: وما أشبهه بقول فلان..!

ومن هذا التّشبيه الذى أسر العقليّة العربيّة خرجت إلينا نظرية الشّبيهة؛ أى أن نقيم فرحا شبيهًا بفلان، أو نؤسّس نظامًا تعليميًّا شبيهًا بتجربة دولة ما، أو أيّة فكرة عبثية تشبُّها بهؤلاء وأولاء وأولئك...!

وظلّت نظرية الشّبيهة تتسرّب إلى الوعى العربيّ حتّى وجدنا أنفسنا نشابههم فى كرة القدم، ولكن وفق نظرية التّشبيه العربيّ الذى قد يجمع بين متباعدين ليكسرَ عَمود الشّعر المرزوقي، والمنطق العقليّ، والواقع الفعليّ المعيش...!

وللفنان صلاح السعدنيّ حوار ظريف يُكثّف فيه نظرية الشَّبيهة، يختصره فى كرة القدم، بأنّنا لدينا ملاعب، واتّحاد كرة، وفرق رياضيّة، وإعلام رياضيّ موسّع، وعقود بالملايين، وبرامج تبدأ مع صلاة المغرب، وتأخذ فاصلًا لصلاة الفجر، ومذيعون حنجوريون، ولجنة حكّام، وسماسرة، ... إلخ.

فنحن نشبههم فى كلّ التّفاصيل سوى أنّه ليس عندنا مباراة كرة قدم حقيقيَّة...!

وأتساءلُ فى كلّ مباراة أوربيَّة نشاهدها، وألحُّ فى سؤال مَن حولي: هل يرى لاعبونا هذه المباريات مثلنا، مع أنَّ كثيرًا من هؤلاء اللاعبين من أصول عربيّة وإفريقيَّة...؟!

إنّ الكرة لا تكاد تخرج خارج الملعب إلا لثوانٍ معدودة باضطرارٍ فى مبارياتهم، وتجذبكَ مهاراتهم ولياقاتهم وتخطيطاتهم، وأخلاقهم، ودأبهم، وإخلاصهم، وابتكاراتهم، وجماعيّتهم فى مقابل الشّبيه الضّدّ لدينا؛ فلا تكاد تستقرّ الكرة فى الملعب ثوانى حتّى تخرج لدواعى الإصابة أو الإبعاد أو التّمثيل والاعتراض والمماحكة الغبيّة والتّطاول والسّفه، مع كسل عجيب، كأنّ اللاعبين قد سهروا فى بأماكن سهرهم ليستريحوا فى الملعب، وهو الشّعور الذى يتسرّب إلينا حين يتقلب اللاعب ويتمطى وحوله أطباء الفريق فى سبات طويل يفقدنا نحن الرّغبة فى الاستيقاظ واستكمال اليوم الطبيعيّ...!

فأمامنا حلٌّ من اثنين: إما أن يكون التّشبيه حقيقيًّا، نرى أوجه الشّبه موجودة ومتحققة بين المشبه والمشبّه به، وإمّا نكف عن خداع أنفسنا ونتابع هذه الدّوريّات والمسابقات؛ مثل أبنائنا الذين فعلوا كلّ ذلك لتجاوزهم البلاغة السكاكيّة، والاستعارات المرزوقيّة، والتّماميّة، إلى أفق المثاقفة والعولمة والتّماهى مع ما يتواءم مع طموحاتهم دون أن يستدعيهم السكّاكيّ لنظريّاته التى تدعو إلى الولاء والانتماء والمحافظة والهويّة، أو التّماميّة التى تحاول مفارقة التّشبيه العربيّ والعودة إلينا بثوب أعجميّ مخاتل يقنعنا فيه محاججة بأنه ثوب عربيّ جديد، يختلف عن ثوب بشار ومسلم وأبى نواس الذين تركوا الدورى المصرى العقيم وجلسوا يتابعون فى استمتاع مباريات اليورو وكوبا أمريكا...!

أ.د. محمد سيد على عبدالعال
(محمد عمر)
وكيل كلية الآداب للدّراسات العليا بآداب العريش

فى مجازر غزة.. العرب على «دكة المبلغ»...!!

بقلم: عبدالرزاق مكادي

فى عمارتنا الإسلامية عرف المصلون داخل المساجد عبر العصور «دكة المبلغ» ، وهى عبارة عن منصة يردد من فوقها» المبلغ» -بضم الميم وفتح الباء- تكبيرات الامام الذى يؤم المصلين ، وغيرها من الأدعية ليسمعها كل من فى الجامع او المسجد .. وقد صنعت هذه»الدكة» اما من الحجر او الرخام أو الخشب.

المتأمل فى الواقع» الغزاوى» المرير الدامى، يجد أن هذه» الدكة «صارت اليوم موجودة فى أحياء ومخيمات مدن غزة، شاهدة على مجازر «هولاكو» العصر وقواته يوميا،بحق أطفالنا ونسائنا و شيوخنا ، الاختلاف فى دكة اليوم عن دكة الأمس أن» المبلغ « عليها تم استبداله بـ»العرب وإعلامهم» الذين راحوا يرددون وينقلون من فوقها أصداء المجازر ومشاهد الدمار والخراب، وأصوات الثكالى والأرامل، وصيحات الأطفال الأيتام واستغاثاتهم، وأنين الضحايا من الشهداء، الذين قاربوا ١٣٠ ألفا وضعفهم من الجرحى، وأكثر من عشرة آلاف مفقود منذ السابع من أكتوبر الماضى..بدعم امريكى عسكرى وسياسى مفضوحين!!

الدور العربى تجاه مجازر وخراب غزة صار «مختزلا» فى الجلوس على دكة المبلغ

نعم، الدور العربى تجاه مجازر وخراب غزة صار «مختزلا» فى الجلوس على دكة المبلغ، فلا تحرك عربى فعال، يليق بما فى أيدى أنظمة العرب من أوراق ضغط على تل أبيب وواشنطن وبقية عواصم الغرب المنحازة لإسرائيل، لوقف غطرسة القوة الاسرائيلية وجبروت آلة الحرب الأمريكية.

نعم للاسف وبكل مرارة، توزعت مواقف العرب حيال ما يعيشه الأشقاء فى غزة، من مآسى قتل وتشريد وتدمير، ما بين غالبية غارقة حتى آذانها فى حالة «مخزية معينة» من الصمت والعجز، « تراقب وتتفرج تنتظر النتيجة« والبعض الآخر «يراهن» على أداء وصمود واستمرار المقاومة، وينتظر أن تلحق بها هزيمة -لا قدر الله-!!

استمرار جلوس العرب على «دكة المبلغ» فى غزة، أكبر هزيمة لهم وشهادة وفاة لأنظمتهم،

ياحكام العرب.. نريدكم «أئمة» للحق تنتصر له وتدافع عنه، وتوقف جرائم حكام تل أبيب وعدوانهم ، لا مبلغين عنها وعن ضحاياها..!!

جائزة الدولة التقديرية وأعمال الفنان مصطفى الفقي

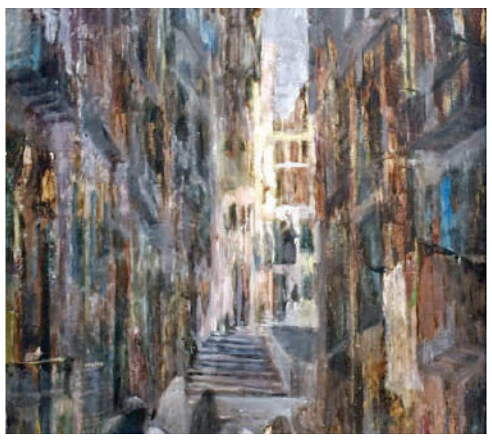

حتى فى هذه اللحظة التى أتناول فيها أعمال الفنان القدير مصطفى الفقى، أجد نفسى عاجزا عن الوصول الى سر تعلقى بتلك الأعمال، وأن تحليلاتى مجرد إفتراضات أشعر أنها لم تقنعنى بالسبب الحقيقى وراء هذا التعلق، وأنها جزء يسير من الأسرار التى لم أكتشفها بعد.

اختيار الموضوعات تقترب من حياتنا ولكن كيف جعلنى أقف أمامها عاشقا مستسلما لهذه الدرجة. هل هو اللون بتوزيعاته، والضوء بإيقاعاته؟. حقيقة مازلت فى حيرة من هذه الحالة التى تنتابنى كل مرة أشاهد فيها أعمال هذا الفنان الذى لم يأخذ حقه من الدراسات النقدية الكاشفة لهذا الغموض الذى أتحدث عنه.

لايمكن للفنانين الرسم بدون ضوء جيد – وليس فقط أى ضوء، ولكن ضوء الشمس. وقد قام بعض الفنانين الأوربيين، أخرهمالرسام الإسبانى الشاب اللامع جوزيبى دى ريبيرا بعمل نوافذ بسقف مساكنه للتمكن من الرسم فى ظروف جيدة، فلا يمكنك الحكم على لوحة بدون إضاءة جيدة. الضوء الطبيعى الذى يسقط بالتساوى على سطح اللوحة يمتلك طيف الألوان كلها.

ولا ينتهى دور الضوء بالإنتهاء من العمل الفني، ولكن أهمية الضوء المثالى تستمر فى عرض الأعمال الفنية لتحقيق الإهتمام البصرى الجيد بها. وقد شاهدت العديد من الأعمال الفنية لفنانى أوروبا فى أزمنة مختلفة، وكنت مهموما بفكرة الضوء ودوره فى تلك الأعمال بدءا من تحقيق التفاصيل الدقيقة، ومرورا بأدواره المختلفة وإنتهاء بفعل الضوء كعنصر أساسى فى العمل الفنى. شاهدت الضوء عند الإنطباعين فى أوقات متفرقة من اليوم. فرسم المنظر الواحد فى الصباح والظهيرة والمساء كان الهدف منه هو البحث عن تأثيرات الضوء علي المنظر الواحد. فالضوء يختلف إدراكه وفقا للوقت، وهذه نتيجة إبداعية تجذب الإنتباه وتغازل بصيرة المشاهد بحس فنى جميل مرتبط بالنتائج الطبيعية للجو. فالضوء فى الظهيرة على سبيل المثال يكون أزرق وشفافا وأكثر بياضا وكثافة، وظلاله تكون أغمق. بخلاف ضوء الغسق الأكثر إصفرارا ونعومة ودفئا، ويكون ضوء غروب الشمس برتقاليا أو أحمر ذو تباين مع ظلال بها زرقة كثيفة. وهذا البحث الذى بدأ سنة ١٨٧٠ للوقوف على الرؤية الزمنية للضوء ومدى تأثيره على الكائنات. كان بالنسبة لهم اكتشافا وتمردا على الرسم فى الأماكن المغلقة بقيادة مونيه، ورينوار الفرنسيين.

لكن حيوية الضوء وتفاعلاته تختلف عند الفنان مصطفى الفقي، فهو حالة تفاعلية بها روح. أنظر الى بقع الضوء التى تغازل ريش الحمامات وتداعب الدراويش وهم يدورون حول الأضرحة والذين يقضون الفرائض الدينية. إنه ضوء مختلف عن هؤلاء الذين يبحثون عنه. ضوء يبحث فى معناه ويضيف فى قيمته ويعجنه مع اللون فيأتينا كاشفا للمعنى، ومحركا للسكون. ضوء مستخلص من تجارب هؤلاء العظام مونيه ورينوار، ولكن بروح مصطفى الفقى، وصوفيته وتأملاته الروحانية لإيجاد معنى جديد وإحساس مختلف ليصبح لغة جديدة فى الحمامتين الجالستين فى حوار. واحدة يسقط على جزء من رأسها وصدرها والمكان الذى تجلس عليه الضوء، والأخرى تقف فى الظل وخلفها يوجد ضوء بين جدارين. هذه العلاقة المركبة بين الحمامتين وبين النور والظل، لتكون القراءة مركبة أيضا تحرك مشاعدك فى اتجاهين مترابطين فى الشراكة صفة الحمام وصفة الضوء والظلال. إنها من اللوحات التى تشبه الحلم عن الفقى.

وهذه لوحة الحارة الضيقة ومبانيها المرتفعة ويظهر بمقدمة اللوحة عربة كارو تحمل قدرة الفول ويحيطها البسطاء. وهنا قام الفنان بتوزيع الضوء على جدران البنايات وعلى رؤوس وأجسام البسطاء بأسلوب رقيق، وكأن الضوء يطبطب عليهم، ويتدرج بحنو حتى يصل الى مصدره فى آخر الحارة بالنصف الأعلى من اللوحة. هنا لا يتعامل الفنان مع الضوء بشكل مادى أو فيزيائى، ولكنه فكرة مرتبطة بحالته الروحانية والوجدانية والمعانى الإنسانية التى لها علاقة بالحب والهدوء والطبطبة والحنو.

وفى لوحة حوار الأحبة، يتصدر اللوحة شخصان جالسان يحتسيان الشاى على قصعة نار وخلفهما زير ويقف على السور فى الخلفية أربع حمامات كل أثنتين فى حوار، ولا تستطيع فى هذا العمل أن تحدد موعد هذا اللقاء بالضوء فقد خفت وانتشرت الظلال الناعمة فى أرجاء المكان الرطب، ولا أعرف كيف أشعرنى الفنان برطوبة المكان ودفء المشاعر إلا أننى وكما قلت سابقا أراه يتعامل مع الضوء كفكرة. ومصدر الضوء هنا تلك النار المشتعلة التى أضفت على المكان الدفء بتلك الألوان الوردية وبمزيج من الضوء والظل إهتم فى توزيعهما لتأكيد تلك الحالة الرطبة التى تلقتها عينى، فجاذبية الضوء فى هذه اللوحة تجاوزت الوظيفة العملية لكشف المكان، ولكنه يحمل سحرا خاصا يستنطق الملامس لتقول ما بداخلها من معان.

إنحاز الفنان فى غالبية أعماله للبسطاء وتفاعل مع قضاياهم فصور ركاب الدرجة الثالثة، وبائع البطاطا، والفول، وغيرهم من الشغيلة، كما استلهم من القصص التاريخى والدينى، وكان الضوء رفيقا حقيقيا يولد تأثيرات درامية ورمزية ومفاهيمية ليعزز رسالة الفنان المتصوف فى تناوله لعناصره وألوانه. فقد تميزت شخوصه بروح البساطة مع عمق المضمون وما يلفه من غموض تؤكده الحالة الدرامية التى أنشأها من هذا الجو الضبابى الموحى بأسرار خلف هذه الغمامات التى تفاعلت معها الشخوص والمفردات بتأثيرات دراماتيكية ولدها الضوء ليمنح اللوحة جوا عاطفيا يحاور حالتك البصرية ويضيف معانى فنية وجمالية جديدة.

تميزت ألوان المرحلة الأولى بالسماكة، وكان البنى بدرجاته لونا رئيسيا مع قليل من الأزرق، ليلعب الفنان على فكرة التباين بين نغمتين متفاعلتين لا تستبعد إحداهما الأخرى. فالتباين هنا بمستويات مختلفة الشدة والنعومة لتحقيق التعبير المناسب لرؤية الفنان، وينتقل هذا التباين بين الظل والضوء ليعتمد على تعبير نغمى آخر يريد الفنان أن يمنحه لعمله، والذى يتراوح من النعومة الى الصلابة، مما يعطى درجات مختلفة من الدراما التى يربطها الفنان مع دراما الألوان حتى يتحقق التأثير المطلوب بين مجموعات الألوان الدافئة والباردة بالإضافة الى اللون الأبيض الذى يحقق الدرجة المناسبة للضوء، والألوان الداكنة ذات الصلة حتى يتم صناعة الضوء والظل عن طريق مزج الألوان فترتبط جميع عناصر اللوحة بإحساس عميق من داخل الفنان الذى لا يتوقف تدفقه لتأكيد الملامس المتناغمة أيضا، والتى نجح الضوء والظل فى تأكيدها، وبالتبعية تأكيد الكتلة، وماتحمله من معانى فنية وجمالية. وحرص الفنان على تأكيد العلاقات المتناغمة بين الأشكال الكبيرة والصغيرة. كما اهتم الفقى بالأحداث التاريخية، وتناولها واستلهم منها وانتقل للتعبير بأسلوبه فاهتم بالرمزية فى ملامح الشخوص على سبيل المثال، كما اهتم بالإيقاعات المتناغمة وتأكيد العمق.

فى اللوحات التى تناول فيها الحمام وهى كثيرة قدم الفنان علاقة خاصة بين اللون والضوء. ومن الواضح حب الفنان للألوان الدافئة، وهذه الصفة طاغية فى معظم اللوحات، ويظل الضوء والظلال مؤكدا الإحساس بالحركة، وقد اهتم الفنان بالتفاصيل وتأكيدها بواسطة الخطوط المنحنية الناعمة التى تحقق شعورا مهدئا مرتبطا بطبيعة الحمام، ولم يغير الألوان التى تعامل بها فى مرحلته الأولى إلا بدرجة بسيطة، وحافظ على حالة التناغم والانسجام اللونى التى تميز بها من خلال اهتمامه الدقيق فى بناء أعماله الفنية وحفاظه على المنظور، الذى يساعده على تأكيد العمق وخلق الوهم الفضائى داخل العمل الفني.

ويلجأ الفنان فى كثير من لوحاته إلى استخدام الضوء الصناعى لتحقيق نوع من التفاعل مع التكوينات داخل العمل، وفى بعض اللوحات يسلطه الفنان على بؤرة العمل لتبدأ المشاهدة منها. والضوء يسهم بشكل رئيسى فى تأكيد الكتلة التى تحولت وكأنها كتل نحتية فى لوحات الفقى.

انتقل الفقى من عالمه هذا إلى مساحات فنية جديدة فاستخدم سكين التلوين فى تحقيق علاقات وتناغمات خاصة. كما قام بتصوير بعض المناظر بأساليب جديدة تشبه التنقيطية، وتأخذ من الحس التأثيرى. كما ظهرت فى لوحاته ألوان جديدة غير البنى والأزرق، وتعامل مع الضوء الطبيعى. وهذه النقلة لم تضف جديدا فى تاريخ الفنان الذى عرف بأسلوبه الأول، وما جاء بعد ذلك لم يصل الى قوته الأولى التى لم تكشف أسرارها لى وتركتنى فى حيرة.

هذا العام تم ترشيح الفنان الكبير مصطفى الفقى لجائزة الدولة التقديرية. وأزعم أن معظم من فى لجنة الاختيار بالمجلس الأعلى للثقافة لا يعرفون الفنان ولم يطلعوا على أعماله، وأشك فى أن الأمر اختلط لديهم بين مصطفى الفقى السياسى وبين مصطفى الفقى الفنان!!

قامت مؤسسة العرب للثقافة والفنون بإقامة ندوة بحديقة ضى بالزمالك تكريما للفنان ودوره الرائد فى النهوض بالحركة الفنية والتوعوية على مستوى مصر والوطن العربى

ولد مصطفى الفقى عام ١٩٣٧، وتخرج من كلية الفنون الجميلة ١٩٦٤. يعتبر الفنان الفقى واحدًا من رواد الحركة التشكيلية المصرية، ومن أهم مساهماته مشاركته فى بينالى القاهرة الدولى وبينالى الشارقة الدولى .كما عمل فى كل من الكويت والسعودية ويعتبر من مؤسسى الحركة التشكيلية فى البلدين وله تلاميذ بجميع الدول العربية يعترفون بريادته وفضله عليهم. حصل الفنان على العديد من الجوائز، وله مقتنيات بمتاحف الدولة، ومقتنيات برئاسة الجمهورية، وبوزارة الخارجية.

بقلم: د. سامى البلشي